

كتب قداسة البابا شنودة الثالث



www.st-mgalx.com

البياتسوفه الثالث

ثمر الروح





قداميسيدالبناباشينوكيةالثالث
 بابا ليهوس لماريا وماريا والكرزة (١١٧)

مقدمة

لا بد للروح أن يكون لها ثمر في الإنسان ، لأن السيد الرب يقول "من ثمارهم تعرفونهم" (مت ٨: ٢٠) وأيضاً :

"كل شجرة لا تصنع ثمراً، تقطع وتلقى في النار" (مت ٧: ١٩) .

والثمر الجيد هو ثمر الروح ، وليس ثمر الجسد .

والروح الإنسانية التي تصنع ثمراً، هي التي تشترك مع الله في العمل، وتتدخل في "شركة الروح القدس" (١ كو ١٣: ٤) . وإن اشتركت روح الإنسان مع الروح القدس، سوف تستطيع أن تشترك الجسد معها، وتقوده في العمل الروحي .

إذن ثمر الروح ، هو ثمر الروح التي قادت الجسد . وصارت هي وهو تحت قيادة الروح القدس .

ذلك "لأن كل الذين ينفادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله" (رو ٨: ١٤) .

فهل المقصود بثمر الروح ، هو ثمر الروح الإنسانية ، أم ثمر الروح القدس .

الإجابة هي شركة الروح القدس مع الروح الإنسانية . ذلك لأن الروح الإنسانية وحدها لا تستطيع وحدها أن تعمل شيئاً بدون شركة روح الله معها ...

الإنسان هو هيكل لروح الله ، وروح الله ساكن فيه (١ كو ٣: ١٦) (١ كو ٦: ١٩) .

روح الله ساكن في الإنسان ويعمل .

ولكن يلزم إستجابة الإنسان لعمل الروح فيه .

وذلك بأن يشترك مع روح الله في العمل .

وهنا يأتي ثمر الروح نتيجة لهذه الشركة .. ذلك لأن الله لا يرغم الإنسان على عمل

الخير، بل لا بد أن يعمل به بإرادته .. وإلا فقد العمل قيمته . ولم تعد له مكافأة .

وقد شرح الرسول ثمر الروح فقال :

"وأما ثمر الروح فهو : محبة فرح سلام ، طول أناة لطف صلاح، إيمان وداعة
تعطف" (غل ٥ : ٢٢ ، ٢٣) .

ونحن نود في هذا الكتاب أن نحدثك عن هذا كله ، في إيجاز وتركيز. لأن كل واحدة
من هذه الثمار التسع، قد تحتاج إلى كتاب خاص . وقد أصدرنا لك كتاباً عن المحبة ،
وآخر عن الإيمان. وكان بودى أن أصدر لك كتاباً عن الوداعة .
ولكن رغبة في تجميع الأفكار وعدم تشتتها ، نشرنا لك هذا الكتاب عن ثمر الروح
كله معاً.

ونلاحظ أن كل ثمرة يمكن أن تتعلق بغيرها من الثمار . لأن الحياة الروحية مرتبطة
ببعضها البعض في كل التفاصيل .
أتركك الآن أيها القارئ العزيز لكي تتأمل في ثمار الروح ، ولكي تجعلها جميعاً ثمرأ
لحياتك مع الله ولعمل الروح فيك .
وليكن الله معك، يعينك في كل ما تفعله .

البابا شنودة الثالث

٣١ أكتوبر ١٩٩٦

عيد القديس الأنبا رويس



مِنْ ثَمَرِ الرُّوحِ

①

المَحَبَّةُ

أود أن أبدأ معكم سلسلة جديدة عن (ثمار الروح) . هذه التى شرحها الوحي الإلهى على لسان بولس الرسول قاتلاً : "وأما ثمر الروح فهو : محبة ، فرح ، سلام ، طول أناة ، لطف ، صلاح ، وداعة ، تعفف . ضد أمثال هذه ليس ناموس" (غل ٥ : ٢٢ ، ٢٣) . ويبدو واضحاً من هذه الآية أن المحبة هى أولى ثمار الروح .

فلنتأمل إذن فضيلة المحبة أولى ثمار الروح :
المفروض فى الإنسان أن يكون هيكلًا للروح القدس ، ويكون روح الله ساكناً فيه . ولقد أرسل لنا السيد المسيح الروح القدس ، لكي يسكن فينا إلى الأبد ، ولكي يعمل فينا ويعمل بناء ، ويكون لعمله فينا ثمار ، هى ثمار الروح (١ كو ٣ : ١٦) (يو ١٤ : ١٦ ، ١٧) .
وفى مقدمة ثمار الروح : المحبة والفرح والسلام . ولنبدأ بفضيلة المحبة وعلاقتها بالفرح والسلام .

أهم ما أريد أن أكلّمكم عنه فى المحبة ، هو محبة الله ، ومحبة الخير . وكل منهما تؤدى إلى الأخرى .

محبة الله توصل إلى محبة الخير والفضيلة . ومحبة الخير والفضيلة توصل إلى محبة الله . وكل منهما تقوى الأخرى .

إذا أحب إنسان الخير ، لا يكون له صراع مع الشر .
كثير من الناس يضيعون حياتهم فى الصراع مع الخطية أو فى مقاومة الشيطان ، لكي يصلوا بهذا إلى حياة التوبة . وحياة التوبة هى البعد عن الخطية التى يحبونها .
أما الإنسان الذى يحب الخير ، فقد ارتفع فوق مستوى التوبة ، وفوق مستوى الصراع مع الخطية .

عبارة "الجسد يشتهى ضد الروح ، والروح يشتهى ضد الجسد" ، هى عبارة خاصة بالمبتدئين ، الذين يجاهدون ضد الجسد غير الخاضع للروح . أما الجسد النقى ، البار ، الذى

يحب الخير، فهو لا يشتغل ضد الروح . (غل ٥: ١٧) .

الإنسان الذى يحب الخير ، لا يجاهد للوصول إلى التوبة، إنما كل جهاده هو للنمو فى محبة الله ومحبة الخير .

إنه جهاد إيجابى ، وليس جهاداً سلبياً .. إنه انتقال من درجة فى القداسة إلى درجة أعلى منها .

إنه جهاد لذيذ بلا تعب ...

إنما يتعب فى جهاده ، الإنسان الذى يقاوم نفسه، نفسه التى لا تحب الفضيلة، بل تحب الظلمة أكثر من النور" (يو ٣: ١٩) .

أما الذى يحب الخير ، فقد دخل إلى راحة الرب، دخل إلى سبته الذى لا ينتهى، يتدرج فيه من خير إلى خير أكبر، بلا تعب، بلا تغصب .

إن فضيلة "التغصب" ليست للقديسين الذين يحبون الخير، فالذين يحبون الخير، لا يغبون أنفسهم عليه، بل يفعلونه تلقائياً، بلا مجهود .

الذى يحب الخير ، لا يرى وصية الله ثقيلة، بل يحب ناموس الرب وفى ناموس الرب مسرته، وفى ناموسه يلهج نهاراً وليلاً .

صدق يوحنا الرسول عندما قال "وصاياهم ليست ثقيلة" (١يو ٥: ٣) . إننا نشعر أن وصايا الرب ليست ثقيلة، حينما نحباها، ونتغنى بها ونقول "وصية الرب مضينة تثير العينين، فرائض الرب مستقيمة، تفرح القلب" (مز ١١٨) .

إن الذى يحب الرب ويحب الفضيلة، قد ارتفع فوق مطالب الناموس، ودخل فى الحب. إنه يفعل الخير ، بلا وصية ، بل بطبيعته الخيرة. ليس هو محتاجاً إلى وصية تدعوه إلى الخير .

إنه يفعل الخير ، لأن الخير من مكوناته ، كصورة لله .. يفعل الخير كشئ عادى، طبيعى، كالنفس الذى يتنفسه، دون أن يشعر فى داخله أنه يفعل شيئاً رائداً أو عجيباً . ولهذا فإنه لا يفتخر بالخير ، إذ أنه فى نظره شئ طبيعى ...

أما الذى لا يحب الخير ، فإن وصية الله ثقيلة عليه. لذلك فكثيراً ما تكون بينه وبين الله عداوة!! يشعر أن الله يسلبه لذته (الميل إلى الخطية) . ويشعر أن وصية الله تنقده ، وتحاول أن تسيره فى طرق لا يريد بها .. وهكذا يرى أن طريق الله صعب ، وأنه لا

يسير فيه، إلا مضطراً .

من هذا النوع الذى لا يحب الخير، الإنسان الوجودى الملحد، الذى يرى أن وجود الله ، عائق ضد وجوده هو ...

أى أنه لا يشعر بوجوده إذا آمن بوجود الله ، ولذلك يقول "الأفضل أن الله لا يوجد، لكى أوجد أنا" !..

كل ذلك لأنه لا يحب الخير . وعدم محبته للخير أوصلته إلى عدم محبة الله . ولهذا فإن الابن الضال، عندما أراد أن يتمتع بحريته وشخصيته، ترك بيت أبيه..! (لو ١٥ : ١٣) أما الإنسان الذى يحب الخير ، فليست بينه وبين الله عداوة . لأنه يوجد اتفاق بين مشيئته ومشينة الله .

إنه يحب الله ، ويجد فيه مثالياته العليا، ويحب فيه الخير الذى يشتهي . ويصبح الله شهوته ، وهو لذته .

الإنسان الذى يحب الخير يعيش فى فرح دائم وفى سلام ...

وكما يقول الكتاب "افرحوا فى الرب كل حين، وأقول أيضاً افرحوا" . إنه يفرح بالرب، لأنه يجد لذته فى المعيشة معه ، ويجد أن مشينة الله هى مشيئته، وأن مشيئته هى مشينة الله .

متى إذن يبدأ الإنسان فى أن يفقد محبة الله ومحبة الخير ؟

لما يبدأ فى معرفة الشر ، وفى مذاقته ، وفى الإلتذاز به .

وهذه هى التجربة التى أوقع فيها الشيطان الإنسان الأول. كان آدم وحواء لا يعرفان إلا الخير ، فأدخلهما فى معرفة الخير والشر . أى أضيفت إلى معرفتهما للخير، معرفة الشر (تك ٣ : ٥) .

بدأ الإنسان يختبر الشر ، وتكون بينه وبين الشر علاقة وعاطفة .

هناك أشياء من الخير للإنسان ألا يعرفها وألا يختبرها . وعن هذه قال الكتاب "الذى يزداد علماً، يزداد غماً" (جا ١ : ١٨) .

قال الشيطان لحواء "يوم تأكلان تفتح أعينكما" . وكان خيراً لهما ألا تفتح أعينهما على ذلك اللون من المعرفة .

يا ليت أن الإنسان لا يعرف سوى الخير ، حينئذ يعيش سعيداً . يعيش فى محبة

للناس، لأنه لا يعرف إلا الخير الذى فيه، وليس غيره .

سيأتى وقت ، فى الأبدية السعيدة ، حينما نتقياً ثمرة معرفة الخير والشر، ولا نعود نعرف سوى الخير فقط، وننسى معرفة الشر .

سيمحو الله من ذاكرتنا كل الشر الذى رأيناه تحت الشمس، ولا يبقى فيها سوى الخير وحده، نعرفه، ونتأمله، ونختبره، ونذوقه، فنزداد حباً له.. ونمارسه بالحب .

نحن لا نفعل الخير مضطرين ، ولا مأمورين ، ولا متعصبين، وإنما نفعل الخير حباً فى الخير .

تأكد أنه عندما يزن الله أعمالك فى الأبدية، ليرى ما فيها من خير. سيزن الحب الذى فيها، ولا يأخذ الله من أعمالك سوى الحب فقط، ولا يكافئك إلا على ما فيها من حب .

كيف يطبق هذا المبدأ فى حياتنا وفى أعمالنا ؟

خذ الخدمة كمثال : إنها ليست مجرد نشاط أو تعب أو عضات، إنما: هل أنت تخدم وأنت تحب الناس، وتحب خلاصهم، وتحب بنيان الكنيسة والملكوت؟ وتحب الله الذى يحبهم، والذى يريدهم أن يحبوه .. تأكد أن الله سوف لا يأخذ من خدمتك سوى الحب .. وهكذا ينجح فى الخدمة، من يراها حباً. حب الله والناس يقوده إلى خدمتهم. وكلما يخدمهم يزداد حباً لهم ، فيزداد خدمة لهم. ونفس الوضع نراه فى الصدقة ...

إنها ليست مجرد طاعة لوصية، فالكتاب يقول "المعطي المسرور يحبه الرب" . ليس مالك الذى تعطيه هو الذى يحسب لك عند الله، وإنما الحب، الحب الذى يرتفع فوق مستوى العشور والبكور والنذور، وفوق مستوى الأرقام، ويعطى بسخاء ولا يعير .

أولى ثمار الروح القدس هى المحبة . لذلك عندما عاتب الرب ملاك كنيسة أفسس، ودعاه إلى التوبة، لخص عتابه كله فى عبارة واحدة، لم يذكر فيها خطية معينة، إنما قال: "عندى عليك أنك تركت محبتك الأولى" (رؤ ٢: ٤) .

من أجل هذه المحبة قال الرب "يا ابنى أعطنى قلبك" . وإن أعطيتنى هذا القلب، فحينئذ "ستلاحظ عينك طرقي" . فتكون إطاعة الوصايا هى نتيجة طبيعية للمحبة (أم ٢٣: ٢٦) .

كثير من الناس سلكوا فى حياة التوبة من الخارج، ولم يسلكوا فى الحب الذى من

الداخل، فأصبحت بينهم وبين الله علاقات وممارسات وطقوس، وليس بينهم وبينه حب، ففشلت حياتهم ...

لما سئل السيد المسيح "آية وصية هي العظمى في الناموس؟" .. أجاب إنها المحبة بشروطها: تحب الرب إلهك من كل قلبك .. وتحب قريبك كنفسك .. بهذه المحبة يتعلق الناموس كله والأنبياء (مت ٢٢: ٢٦ - ٤٠).

كثيرون سيقولون له في اليوم الأخير "يارب بإسمك تتبأنا، وبإسمك أخرجنا شياطين.." (مت ٧). ولكنه سيترك كل هذا ويسألهم عن الحب الذي فيهم .

إنها ليست مسألة معجزات ومواهب، فما أكثر الذين هلكوا على الرغم من مواهبهم. لذلك فإن الرسول بعد أن تحدث عن المواهب الروحية ، قال "أريكم طريقاً أفضل" .. وتحدث عن المحبة (١ كور ١٣) .

وبمقدار محبتنا لله، سيكون فرحنا به في الأبدية، وستكون سعادتنا .

نجم سيمتاز عن نجم في الرفة، وهذه الرفة ستحددها المحبة .

وإذا أحببت الله سوف لا تخاف ، لأن المحبة تطرح الخوف إلى خارج .. إذا أحببت سوف لا تخاف الله ، ولا تخاف الخطية، ولا تخاف الناس، ولا تخاف الموت ..

بالحب يعيش الإنسان في فرح دائم، يفرح بالرب الذي يقوده في موكب نصرته ، من خير إلى خير، ويفرح لتمتعه بالرب، ولأن الخطية لا مكان لها في قلبه ولا مكائده .

حقاً قد تحدث له حروب ومقاومات من الشيطان، ولكنها ضيقات من الخارج فقط، وأما في الداخل فيملك عليه السلام. وهكذا يجتمع في قلبه المحبة والفرح والسلام .

أريدكم أن تدرّبوا أنفسكم على هذا الحب، اخرجوا من مظاهر الحياة الروحية، وادخلوا إلى صق الحب. والمحبة لن تسقط أبداً .

لقد أنكر بطرس معلمه ، وسب ولعن وقال : لا أعرف هذا الرجل. ولكن الرب لم يسأله سوى سؤال واحد "أتحبنى؟" .. وأجاب بطرس :

"أنت تعلم يا رب كل شيء. أنت تعلم أنني أحبك" (يو ٢١: ١٥ - ١٧).

وبهذه المحبة نال الغفران، ورجع إلى رتبته الرسولية .

لست أود أن استرسل معكم كثيراً عن المحبة، فقد أصدرت لكم كتاباً كبيراً بعنوان (المحبة قمة الفضائل) .



مِنْ ثَمَرِ الرُّوحِ

٦

الْفَرْحِ

خلق الله الإنسان منذ البدء للفرح .

ولذلك وضعه فى جنة هى جنة عدن (تك ٢) . وأحاطه بكل وسائل الراحة . ومن أجله خلق كل شئ: السماء والأوتار ، والأنهار والثمار والأزهار وفى الأبدية يعد له أفراحاً أخرى لا يُعبر عنها: "ما لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولم يحطر على قلب بشر" (١كو ٢: ٩). بل بالموت مباشرة ينقله الرب إلى فردوس النعيم، حيث فرح العشرة مع الرب والملائكة وأرواح القديسين .

بل وفى هذه الحياة الدنيا، أوجد الرب للإنسان ألواناً من الفرح . فجعل له يوماً فى الأسبوع يستريح فيه ويفرح . ومنذ العهد القديم أعد الله للإنسان أعياداً مقدّمة يفرح فيها (لا ٢٣٧) ، مع أعياد أخرى فى العهد الجديد . وأعطاه أيضاً أن يفرح بكل تعب الذى يتعبه تحت الشمس (جا ٥: ١٨) . وهنا نبدي ملاحظة ، وهى الفرق بين اللذة والفرح .

اللذة خاصة بالجسد وحواسه . أما الفرح الحقيقى فهو حاصل بالروح . إنسان يتلذذ بالطعام والشراب ، إنها لذة الجسد، وإنسان آخر يلتذ بالمناظر، ويشبع عينيه من أى منظر جميل. إنها أيضاً لذة تختص بحواس الجسد، وثالث يلتذ بالسمع والموسيقى، إنها لذة الحواس. ولكن تشترك هنا الروح إن كان ما يسمعه أحياناً روحية، أو كلمات روحية تشبع روحه .

وحينما نتكلم عن الفرح ، إنما نتكلم عن فرح الروح . لأن هناك فرحاً نفسانياً ، وهو فرح باطل .

فَرَحٌ باطل

مثال ذلك الذى يفرح بسقطة عدوه أو بليته، وهذه خطيئة خاصة بالنفس، قال عنها سليمان الحكيم "لا تفرح بسقوط عدوك" (أم ٢٤: ١١). إنه فرح آثم، لأنه نوع من الشتمات.

وهو ضد المحبة، حسبما قال الرسول "المحبة لا تفرح بالإثم (١كو١٣: ٦) .

من الفرح الباطل أيضاً : الفرح الممزوج بالكبرياء ، بالذات .

مثلما رجع التلاميذ السبعون فرحين يقولون للرب "حتى الشياطين تخضع لنا بإسمك". فوبخهم على ذلك بقوله "لا تفرحوا بهذا.. بل افرحوا بالحرى أن أسماعكم قد كتبت فى ملكوت السموات" (لو ١٠: ١٧ - ٢٠). مثال ذلك الذين يفرحون أيضاً بالكلم بالسنة!! إنه أيضاً فرح ممزوج بالذات وعظمتها ومواهبها، وليس بملكوت الله ...

هناك إنسان يفرح بالخطية !!

هذا الفرح هو خطية أخرى تضاف إلى خطيته . إنه يذكرنا بأولئك الذين قال عنهم الرسول "الذين مجدهم فى خزيهم، الذين يفتكرون فى الأرضيات" (فى ٣: ١٩) . نوع آخر هو الذين يفرحون بأمور تافهة مادية .

مثال ذلك الابن الكبير الذى لم يفرح بعودة أخيه الضال، ولام أباه قائلاً "وقط لم تعطنى جدياً، لأفرح مع أصدقائى" (لو ١٥: ١٩)!! هذا الذى يفرحه جدى، لاشك أن مستواه الروحى ضعيف، ورغباته أرضية ..

هذا اللون من الفرح جربه سليمان الحكيم حينما قال ..ومهما اشتيته عيناى، لم أمنعه عنهما" ووجد بعد ذلك أن كل ذلك باطل وقبض الريح هو" (جا ٢: ١٠ ، ١١) . ولذلك قال عن مثل هذا الفرح "وعاقبة الفرح حزن" (أم ١٤: ١٣) . وقال أيضاً "قلب الجهال فى بيت الفرح" يقصد الفرح الباطل (جا ٧: ٤) . وقال "الحماقة فرح لناقص الفهم" (أم ١٥: ٢١) . إنه الفرح العالمى ، الخاص بالحواس وبالجسد، أو الفرح النفسانى غير الروحانى، إذن ما هو الفرح الروحانى ؟

الفَرَحُ الروحى

١ - هو الفرح بالرب . فرح الوجود فى حضرة الرب ، وفى عشرته . أو فرح الإنقاء بالرب .

كما قيل عن التلاميذ إبهم فرحوا لما رأوا الرب (يو ٢٠: ٢٠) . وتحقق بهذا وعده لهم "ولكنى أراكم فتفرح قلوبكم، ولا ينزع أحد فرحكم منكم" (يو ١٦: ٢٢) . هذا الفرح الذى قال عنه القديس بولس الرسول :

افرحوا بالرب كل حين ، وأقول أيضاً افرحوا" (فى ٤: ٤) .

إنه فرح بالرب ، وفرح فى الرب ، كل حين . شاعرين بوجوده معنا، كما كان التلاميذ فرحين بالرب معهم "يحدثهم عن الأمور المختصة بملكوت الله" (أع: ١٤ : ٣) .

فهل أنت تفرح بوجود الله فى حياتك ، أو فى حياة غيرك ؟

اسأل نفسك كل يوم : هل فرحك بالرب ، أم له أسباب أخرى ؟

٢ - فى تسبحة العذراء ، نجد هذا الفرح الروحى بالرب ، إذ تقول :

تعظم نفسى الرب ، وتبتهج روحى بالله مخلصى (لو: ١ : ٤٧) .

إنها تبتهج بالله وخلصه . فهل أنت أيضاً تفرح بالخلص وبالفداء ، بالكفارة التى قدمها المسيح لأجلك . إن الكنيسة تذكرنا بهذا الخلاص كل يوم فى صلاة الساعة السادسة، لكى نفرح به . نبتهج بهذه الكفارة التى حملت جميع خطايانا ومسحتها بالدم الكريم . واشترانا الرب بدمه ، فصرنا له . صولحنا معه .

٣ - هناك فرح روحى آخر ، وهو الفرح بالتوبة وبالتخلص من الخطية .

فرح بالتخلص من خطية متكررة ، أو عادة مسيطرة . فرح إنسان أمكنه أن يعترف ، وأن ينال المغفرة . مثاله فرح الابن الضال بعودته إلى بيت أبيه (لو: ١٥) .

يقول داود النبى فى مزمور التوبة "اسمعنى سروراً وفرحاً، فلتبتهج عظامى المنسحقة" "أردد لى بهجة خلاصك" (مز: ٥٠) .

حقاً كم يكون فرح إنسان حينما يتخلص من عادة كانت مسيطرة عليه ، أو من خطية كان يضعف أمامها وتتكرر فى كل اعتراف . ما أكثر فرح إنسان تخلص من الإدمان مثلاً، أو من سيطرة الأفكار الشريرة أو الأحلام النجسة .

٤ - وما أعظم الانتصار على النفس .

كما يقول الحكيم "مالك نفسه خير ممن يملك مدينة" (أم: ١٦ : ٣٢) . إن الانتصار على النفس أعمق بكثير من الانتصار على الآخرين ، لأن به يتحرر الإنسان من الداخل . إن الذى ينتقم لنفسه لا يفرح مثل الذى يستطيع أن يضبط نفسه ويحتمل . لذلك فرح داود النبى لما منعه أيجاييل الحكيمة عن أتيان الدماء والانتقام لنفسه (١صم: ٢٥ : ٣٢ ، ٣٣) .

٥ - وهناك فرح برجوع الخطاة .

وهو ليس فقط فرحاً على الأرض ، إنما فى السماء أيضاً "لأنه يكون فرح فى السماء لحاطى واحد يتوب" (لو: ١٥ : ٧) . ولعلنا نرى فى قصة رجوع الابن الضال ، أن الأب قد قال : ينبغي أن نفرح ونسر ، لأن ابنى هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوجد (لو: ١٥) :

٥، ٦) . وهكذا فعلت المرأة التي وجدت درهماها المفقود .. فرح لكل الأصدقاء .

ما أعظم الفرح بالبحث عن الخطاة وردهم .

هناك أشخاص عملهم هو هذا . كما قال القديس بولس الرسول " .. وأعطانا خدمة المصالحة .. واصعباً فيما كلمة المصالحة . إذن تسعى كسفراء عن المسيح، كأن الله يعط بنا. نطلب عن المسيح: نصالحوا مع الله" (٢كو٥: ١٨ - ٢٠) .

نفرح كلما نجد إنساناً قد اصطليح مع الله .. إذن الخدمة بالإضافة إلى مكافأتها في السماء، لها فرح أيضاً على الأرض. وكما يقول الكتاب "من رد خاطئاً عن ضلال طريقه، يخلص نفسه من الموت، ويستر كثرة من الخطايا" (يع٥: ٢٠) .
ما أعمق فرح الذي يخلص نفسه من الموت . الفرح بإنسان ارتد عن الإيمان وأعدته . أو الفرح بإنسان سقطت وضاعت ثم رجعت مرة أخرى .

٦ - إن كل عمل خير تعمله ، له فرحته :

في الأرض وفي السماء . نفرح حينما نتقذ إنساناً مسكيناً، أو نفرح قلب عائلة فقيرة، أو تريح إنساناً من تعب. نشعر بفرح داخلي، لأنك أفرحت قلوباً منكسرة، أو أنصفت شخصاً مظلوماً. بل نشعر بهذا الفرح حتى من جهة غير البشر، كما قال أحد الأدباء سقيت شجيرة كوب ماء. فلم تقدم لي عبارة شكر واحدة. ولكنها انتعشت، فانتعشت .
الأم تشعر بفرح، حينما نفرح ابنها. ونفرح حينما تشبع رضيعها ، ونفرح بنجاح أبنائها في حياتهم ...

هذا هو الفرح بإسعاد الآخرين .

إن الذي يدفع العشور وهو متضرر، لا يشعر بهذا الفرح . وقد يدفع، ولكن ماله لا يصل إلى الله لأن "المعطي المسرور يحبه الله" (٢كو٩: ٧) ، أي أنه يعطي، وفي قلبه فرح بهذا العطاء .. ليتك تختبر فرح العطاء ...
والعطاء الروحي له فرح أيضاً سجده في فرح الآباء والمرشدين .

٧ - فرح الآباء والمرشدين الروحيين :

إن القديس يوحنا يحب يقول في رسالته إلى عيسى أيها الحبيب في كل شيء أروم أن تكون واحداً وصحيحاً، كما أن عسك ناجحة . ليس لي فرح أعظم من هذا، أن أسمع عن أولادى أنهم يسلكون بالحق" (٣يو٢، ٤) ... إن هذا جزء من افراح الخدمة والرعاية. ولأنك يقول القديس بولس الرسول "اطيعوا مرشديكم واحصعوا، لأنهم يسهرون لأجل

فوسعكم كأهم سوف يعطون حساباً . لكي يفعلوا ذلك بفرح - غير أنين - لأن هذا غير دافع لكم (عب ١٣ : ١٧) .

يفرح المرشد الروحي بنجاح أولاده روحياً . يفرح من أجلهم، وأيضاً من أجل نفسه، من أجل أدائه لرسالته التي أتت بنتيجة ...

أما الابن الذي لا يطيع ، أو يدخل في محادلات عقيمة مع مرشده ولا ينفذ ، فإنه يسب لهذا الأب والمرشد ألماً . إن الذي يطيع ويقبل الكلمة ، ويأتي بشمر ، نذكرنا بقصة الحصى الحبشى الذي استمع لفيلبس وآمن واعتمد "ومضى في طريقه فرحاً" (أع ٨ : ٣٩) . ليتنا نفرح بأفراح الناس ، ولا ننسى مجاملاتهم في أفراحهم ، بمشاركة قلبية في ذلك الفرح . إن الطفل يشعر بفرح كبير حينما يجد مجموعة كبيرة حوله تفرح بعيد ميلاده، وتغني له أنشودة .. وكذلك الكبار أيضاً يفرحون بمن يهنئهم في مناسباتهم المبهجة .
يذكرنا هذا بذهيعة السلامة .

كان يأكل منها مقدّمها وأحبّاه أيضاً ، وهو فرح بعمل الرب معه ويقر بها لأجل الشكر (٧٤ : ١٢ ، ١٩) . ويذكرني هذا بالذين كانوا يخبزون (لفطير الملك) ويوزعونها، يأكل منه أصدقاؤهم فرحين معهم بمعجزة أجراها السالك معهم .. إن الفرح بفرح الآخرين يشعرنا أننا كلنا أسرة واحدة .

١١ - درجة عالية من الفرح ، أن نفرح بالتجارب واثقين من بركاتها وأكاليها .
كما قال القديس يعقوب الرسول "أحسبوه كل فرح يا أخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة" (يع ١ : ٢) .

لسنا فقط نحتملها ، إنما أيضاً نفرح بها، نفرح بالصليب، وبالباب الضيق، وبكل الآلام والاضطهادات . نفرح بالرب "وشركة آلامه" (في ٣ : ١٠) . واثقين أننا "إن كنا نتألم معه، فلنكن نتمجّد معه أيضاً" (رو ٨ : ١٧) . وبالإيمان نرى أن "كل الأشياء تعمل معاً للخير" (رو ٨ : ٢٨) . لا ننظر إلى الألم الموجود، إنما ننظر في رجاء إلى عمل الرب المفضل . لذلك قال الرسول :

١٢ - "فرحين في الرجاء" (رو ١٢ : ١٢) .

الرجاء يعطى أملاً في مستقبل مشرق . وهذا الأمل مصدره الإيمان بتدخل الله وعمله . ونتيجة ذلك يفرح القلب . كما يقول المرتل في امزمور :

"يفرح لك جميع المتكلمين عليك (مر ٥ : ١١) لأن المتكل على الرب لا يحزى" . إنه

شاعر فرح ، لأن الرب لاند سيفرحه ...

✱ ✱ ✱

إن أولاد الله يعيشون دائماً فى فرح .

لأن الفرحة هو من ثمر الروح .

يقول الرسول "ثمر الروح محبة فرح سلام.." (غل ٥: ٢٢) . فالإنسان الروحى لمحبة الله، ومحبة الله له، يشعر بفرح. أياً كانت الأمور، لا يد أن الرب سيعمل وفرح بعمله. بل أن الرب فعلاً يعمل، حتى إن كنا لا نرى عمله الآن . سنراه ولو بعد حين، فتفرح قلوبنا، ولا يستطيع أحد أن ينزع فرحنا منا .

على أن أولاد الله يفرحون دائماً بالرب ذاته ، وليس بمجرد عطايه .

١٣ - الفرحة بنجاح الخدمة :

إن المعمدان فرح كثيراً ببشارة السيد المسيح ونجاحها .

فقال "من له العروس فهو العريس. وأما صديق العريس الذى يقف ويسمعه، فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس. إذن فرحى هذا قد كمل" (يو ٣ : ٢٩). لقد فرح لأنه سلم العروس للعريس، حتى لو انتهت بذلك خدمته . هنا الفرحة الروحية البعيدة عن الإهتمام بالذات ... أما الإنسان الأتاني فلا يفرح إلا بخدمته هو ، كأنه الوحيد الذى يخدم. ومن هنا قد يحدث التنافس والحسد بين الخدام، ولا يفرحون بعمل غيرهم ...

ولا يمكننا أن نتصور مقدار فرح الشعب حينما تم بناء هيكل زريابل بتعب كثير.. حتى أن الكتاب يقول أنهم "بكوا بصوت عظيم عند تأسيس هذا البيت أمام أعينهم. وكثيرون كانوا يرفعون أصواتهم بالهتاف بفرح. ولم يكن الشعب يميز هتاف الفرحة من صوت بكاء الشعب" (عز ٣: ١٢، ١٣). وكما يقول المرتل "الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالإبتهاج" (مز ١٢٦). إن الذين يخدمون فى حقل الرب ، يفرحون بثمار الخدمة، مهما كان تعبهم فيها، بل إن تعبهم يزيد من فرحهم . يقول الرسول :

"كحزائى ونحن دائماً فرحون" (٢كو ٦: ١٠) .

فى نظر الناس من الخارج حزائى ، بسبب ما تبدله فى الخدمة من ألم وتعب. ولكننا فى الداخل فرحون. يقول القديس بولس أيضاً "أفرح فى لآملى لأجلكم" (كو ١: ٢٤) .

١٤ - كل إنسان أيضاً يفرح بثمر عمله، ويفرح بعمل الرب معه .

وهكذا قيل فى المزمور "عظم الرب الصنيع معنا، فصربا فرحين" (مر ١٢٦: ٣) .

وها برى أيضاً أن الفرح يمتزج بالشكر .

اقرأ مزمور ١٠٣ تحذه كله فرحاً بعمل الرب "بارك يا نفسى الرب، ولا تنسى كل إحسانه". إن الذى يعمل مع الله، يفرح بعمل الله معه. وفرح أن تعبك لم يكن باطلاً . وكما يقول الرب "يفرح الزارع والحاصد معاً" (يو ٤ : ٢٦) .

١٥ - الإنسان الروحى يفرح لفرح غيره :

كما يقول الكتاب "فرحاً مع الفرحين" (رو ١٢ : ١٥) . بنا حسد واحد. إن تألم عصفو، تألم معه باقى الأعصاء. وإن فرح عضو، نفرح له ومعه باقى الأعضاء. المشاركة فى أفراح الناس فضيلة. قيل عن القديسة اليسانبات العاقر لما ولدت ، إنه "سمع جيرانها واقرباؤها أن الرب عظم رحمته لها ففرحوا معها" (لو ١ : ٥٨) .

إن الفرح بمجرد العطايا أمر له خطره . لأنه إن لم نأت عطايا الرب أو نعمه، ربما يتغير القلب من الداخل ، أو يتحول إلى حزن، أو يتذمر على الرب، ليس فقط لأنه لم يعط، بل حتى إن تأخر فى عطائه ...

لذلك فالروحىون لا يفرحون بمجرد العطية ، بل يفرحون بمعطيتها . يفرحون بمحبة وحنو الله الذى يعطى . وهكذا يفرحون بالرب ...

إنهم يفرحون بالرب كأب يهتم بهم ويرعاهم ، وبطيهم كل ما يحتاجون إليه ... ويفرحون بمحبته لهم التى يتقون بها تماماً، حتى إن لم يسطو ، أو إن لم يروا عطاياه (على وجه أصح) لأن الله دائماً يعطى .

✱ ✱ ✱

هنا ونسأل سؤالاً هاماً :

ماذا عن الموت ؟ هل هو سبب فرح ؟ أم هو سبب حزن أو خوف ؟

الموت هو سبب فرح روحى، للذين يتقون بمصيرهم بعد الموت. مثل القديس بولس الرسول الذى انتهى الموت قائلاً "لنى اشتها أن أنطلق وأكون مع المسيح. ذاك أقصّل هذا (فى ١ : ٢٣) . ومثل سمعان الشيخ الذى طلب الموت قائلاً "الآن يارب تطلق عبدك سلام حسب قولك، لأن عيى قد أضرتا خلاصك. (لو ١ : ٣٠) .

أما الذين لم يستعدوا للموت ، ولم يستعدوا للقاء الرب ، فإنهم يحافون الموت، لأنهم خائفون ما بعد الموت . عدم استعدادهم يجمع الفرح - الموت الخطية عموماً تمنع الفرح الروحى .



مِنْ ثَمَرِ الرُّوحِ

٢

السَّلام

هكذا قال القديس بولس الرسول "ثمر الروح : محبة فرح سلام" (غل ٥ : ٢٢) . وقد تحدثنا عن المحبة والفرح .. وود أن نتحدث الآن عن السلام .
نذكر أولاً مقدمة عن أهمية السلام ، وعن استعماله فى الكتاب وفى الصلوات وفى الحياة ...

ثم نتحدث عن ثلاثة عناصر هامة للسلام :

- ١ - سلام مع الله ، و سلام من الله .
- ٢ - سلام مع الناس .
- ٣ - سلام داخلى فى القلب بين الإنسان ونفسه .

أهمية السلام :

السلام عنصر هام لحياة الناس . بدون لا يستقر مجتمع ، ولا يهدأ إنسان . والسلام هو شهوة الدول والشعوب حتى تعمل فى هدوء . وبدونه يعيش العالم فى شريعة الغاب .
والله يريد لنا السلام ، ويمنعنا إياه .

هو الذى قال لتلاميذه القديسين "سلامى أترك لكم . سلامى أنا أعطىكم .. لا تضطرب قلوبكم ولا تجزع" (يو ١٤ : ٢٧) . ونحن نصلى هذا الفصل من الإنجيل فى الساعة الثالثة من كل يوم ، متذكرين هذا السلام ، حتى لا تضطرب قلوبنا ولا تجزع .

والسلام هو الأتسودة التى عسى بها الملائكة يوم ميلاد السيد المسيح . فقالوا "المجد لله فى الأعلى ، وعلى الأرض السلام.." (لو ٢ : ١٤) .

وما أكثر ما يقول الأب الكاهن عبارة "السلام لجميعكم" .

يقولها فى بدء كل صلاة طقسىة ، وفى بدء الأواشى ، ومرات عديدة جداً فى كل قداس . إنه يصلى أن يكون السلام فى قلوب الجميع ، لأنهم إن فقدوا سلامهم ، فقدوا

العنصر الأساسي لحياتهم ولتعاملهم مع الآخرين ...

والسلام هو التحية التي يتبادلها الناس كل يوم . وهي التي صدرت من الرب ومن الملائكة ...

عند ملاقة الرب للمريمتين بعد القيامة ، قال لها سلام لكما (مت ٢٨ : ٩) . وعندما دخل العلية على التلاميذ قال لهم سلام لكم (يو ٢٠ : ١٩) . بل أن هذه العبارات تكررت في هذا الإصحاح من إنجيل يوحنا ثلاث مرات (أنظر أيضاً لو ٢٤ : ٣٦) . وفي إرسال الرب لتلاميذه قال لهم : وأى بيت دخلتموه ، فقولوا سلام لأهل هذا البيت . فإن كل أيناً للسلام ، يحل سلامكم عليه (لو ١٠ : ٥ ، ٦) .

القديسة العذراء عندما زارت القديسة أليصابات بدأتها بالسلام "فلما سمعت الیصابات سلام مريم ، ارتكض الحنين في بطنها ، وامتلت الیصابات من الروح القدس" (لو ١ : ٤١) ترى ما قوة ذلك السلام !!

والملاك جبرائيل في تبشيره للعذراء بميلاد المسيح ، قال لها "السلام لك أيتها الممتلئة نعمة ، الرب معك" (لو ١ : ٢٨) .

ونرى أن الاناء الرسل يدأون رسائلهم بالسلام . فيقولون نعمة لكم وسلام" (رو ١ : ٧) (١كو ١ : ٢) (٢كو ١ : ٢) (غل ١ : ٣) (أف ١ : ٢) ... وفي خلال الرسائل يقولون : سلموا على .. يستلم عليكم ... " (أنظر رو ١٦) (١٥يو ٣) .

ومن أهمية السلام أنه وضع في مقدمة ثمر الروح ، إذ قيل "ثمر الروح : محبة فرح سلام" (غل ٥ : ٢٢) .

وقيل في المعاملات "ثمر البر يزرع في السلام من الذين يعملون السلام" (يع ٣ : ١٨) . وكما كان بدء اللقاءات بالسلام ، كذلك أيضاً كانت تنتهي . كما قال أليشع النبي لنعمان السرياني "إمض سلام" (٢مل ٥ : ١٩) . كذلك قال السيد المسيح للمرأة الحاطئة ادهسى سلام" (لو ١٧ : ٥٠) .

سَلام مَعَ اللّٰه

حيما خُلق الإنسان ، كان في سلام مع الله . ولكن بالخطية ، فقد الإنسان سلامه مع الله .

هكذا حدث مع آدم (تك ٣) ومع قايين (تك ٤) . وهكذا حدث مع كل الأشرار فى العالم عبر الأجيال . لأن الخطية هى انفصال عن الله (لوقا ١٥ : ١٣) . وهى أيضاً عداوة لله (يع ٤ : ٤) (١ يوحنا ٢ : ٥) . لذلك قيل :
 "لا سلام قال الرب للأشرار" (أش ٤٨ : ٢٢) .

وقد تكرر نفس المعنى (أش ٥٧ : ٢١) ، فى نفس السفر . فالأشرار يفقدون سلامهم مع الله ، هنا على الأرض . وأيضاً فى آخر الزمان ، فى مجئ الرب . وفى ذلك يقول القديس بولس الرسول "مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى" (عب ١٠ : ٣١) . ولكن كيف تكون إذن المصالحة مع الله؟ (٢ كور ٥ : ٢٠) .

غير المؤمنين يصطلحون مع الله بالإيمان . والخطاة يصطلحون مع الله بالتوبة .
 فعن الإيمان قال الكتاب "إذ قد تقررنا بالإيمان ، لنا سلام مع الله" (رو ٥ : ١) . هذا السلام كان نتيجة للدم الذكى الذى سفكه المصلوب لأجلنا "لأنه هو سلامنا.. الذى نقض الحائط المتوسط" (أف ٢ : ١٤) ... هو صنع السلام بين السماء والأرض .
 أما عن التوبة ، فيقول الله - تبارك اسمه "ارجعوا إلىّ ، أرجع إليكم" (ملا ٣ : ٧) .
 ويقول القديس يوحنا الحبيب "إلى لم تلمنا قلوبنا ، قلنا ثقة من نحو الله" (١ يوحنا ٣ : ٢١) . وقال القديس أغسطينوس فى كتاب اعترافاته للرب "ستظل قلوبنا مضطربة ، إلى أن تجد راحتها فىك" .

سَلام من الله

السلام الحقيقى هو من الله ، هذا الذى قيل عنه فى أتمرمور "الله يبارك شعبه بالسلام" (مز ٢٩ : ١١) . وعن هذا السلام ، قال الرسول

"سلام الله الذى يفوق كل عقل ، يحفظ قلوبكم وأفكاركم" (فى ٤ : ٧) .

الله هو مصدر السلام ، ورئيس السلام ، وملك السلام . ونحن نقول له فى نحن (إب أوزو) يا ملك السلام ، أعطنا سلامك ، قرر لنا سلامك... . وأول أوشية هى (أوشية السلامة) ، نطلب فيها من الله سلاماً للكنيسة وكل الشعب .

سلام الله يحفظنا من الشيطان ، ومن الخوف والقلق .. فليتنا نتذكر وعود الله لنا .
 بك تحد سلاماً داخل قلبك ، إن تذكرت قول الرب "هوذا على كفى نقشتك" (أش ٤٩ :

(١٦). وإيضاً قوله "أما أنتم، فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة" (مت ١٠: ٣٠) .
 "تكونون مغضين من الجميع لأجل إسمي. ولكن شعرة من رؤوسكم لا تهلك" (لو ٢١: ١٨) .
 "لأنه لا تسقط شعرة من رأس واحد منكم" (أع ٢٧: ٣٤) .
 مما يجلب السلام أيضاً مزامير عن حفظ الله لك .

مثل المزمور (١٢٠) : "الرب يحفظك. الرب يظل على يدك اليمنى. فلا تصرعك الشمس بالنهار، ولا القمر بالليل.. الرب يحفظك من كل سوء. الرب يحفظ دخولك وخروجك" .

أو المزمور (١٢٣) : "تحت أنفنا مثل العصفور من فخ الصيادين. الفخ انكسر ونحن نجونا. عونا من عند الرب الذى صنع السماء والأرض" .
 أو المزمور (٩١) "السكن فى ستر العلى، فى ظل القدير يبيت . لا تحش من خوف الليل، ولا من سهم يطير بالنهار" يسقط عن يسارك ألوف، وعن يمينك ربوات. أما أنت فلا يقتربون إليك" .

وما أكثر وعود الله فى المزامير التى تحلب السلام، لذلك قلنا :
 احفظوا المزامير ، تحفظكم المزامير .

تكلما عن السلام الذى من الله ، لأن هناك ألواناً أخرى من السلام الزائف ، ليست من الله !

سلام زائف

مثاله السلام الزائف الذى كان يوحى به الأنبياء الكذبة قبل السبى، حتى لا يتوب الناس خائفين من غضب الله الآتى . وهكذا قال الرب فى سفر حزقيال النبى "أضلوا شعبي قاتلين سلام، ولا سلام" (حز ١٣: ١٠) . وكما ورد أيضاً فى سفر أرمياء النبى "قاتلين سلام سلام، ولا سلام" (أر ٦: ١٤) .

إنه لون من الخداع ، فيه تخدير للأعصاب وللضمير .

تماماً مثلما حدع الشيطان أبونا الأولين قتلاً "لن تموتنا. بل الله عالم أنه يوم تاكلان منه، تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر" (تك ٣: ٤ ، ٥) .

وكأى شخص يدعو إنساناً للإشتراك معه فى حطية ما، ويشعره بأنه سوف لا يصيبه من ذلك أى أذى، بل سيمر الأمر بسلام !! ... سواء كان ذلك فى سرقة أو رشوة أو رعى

أو غش ..

وقد يأتي مثل هذا السلام الرائف من ثقة الشخص واعتداده بنفسه ، وظنه أنه سيفعل كل ما يريد، وتمرّ كل تدبيراته الحاطئة في سلام ! كالقاتل الذي يثق بنفسه أنه سيرتكب جريمته كل حرص دور أن يترك أثراً، ويمر ذلك سلام .

كله سلام زائف يصوّره الإنسان لنفسه، أو يصوّره له الشيطان أو شركاء السوء أو المحرضون .

نتقل إلى بد اح وهو السلام مع الناس :

سَلَام مَعَ النَّاسِ

فيه يسلم الناس بعضهم على البعض ، ليس فقط بالأيدي، وإنما بالقلب والنية أيضاً . ويقولون كلمة سلام من عمق قلوبهم ويفصدونها . وإن كانت بينهم خصومة من قبل ، يتصالحون ... وعن هذا قال السيد في عطته على الحل :

"إذا ما قدمت فربانك بنى المدح . وهاك تذكرت أن لأحيك شيئاً عليك، فاترك هناك قربانك قدام المدح. وادهب أو لا اصطلاح مع أحيك" (مت: ٢٣، ٢٤). وفي هذا تشترط الكنيسة الصلح قبل السؤل

وفي القداش الإلهي صلى صلاة الصلح فل قداس القديسين ، وقبل سيامات الإكليروس ...

ولأنه قد بدو من الصعب أن تصطلاح مع كثير من الأعداء والمقاومين ، لذلك قال الرسول :

"إن كان ممكناً، فحسب طاقتكم ، سالموا جميع الناس" (رو١٢ : ١٨) . لك لأن لعص لا يمكك مسالمتهم، إلا بد، اشركت في الخطأ معهم، أو بسبب شراسة طبعم، أو لأنهم يحسدوك بسبب نجاحك، أو بسبب تدابير معينة يدبرونها، أو لأن سؤوك الطب يكشف أخطاءهم، أو لأي سبب آخر ..

نهاد حسب طفتك ، إن كان ممكناً لك، سالم جميع الناس . وإلا فعليك بالاتي :
★ لا تجعل الخلاف يأتي بسببك .

كن مصلوباً لا صائباً . قد يعاكسك الغير . ولكن لا تبدأ أنت بالشر . ثم لا تكن حساساً
حداً من جهة أخطاء الآخرين .
★ كن واسع الصدر حليماً .

ادكر ما قيل عن موسى النبي "وكان الرجل موسى حليماً جداً أكثر من جميع الناس
الذين على وجه الأرض" (عد ١٢ : ٣) .
حاول باستمرار أن تحتمل وأن تغفر .

وكما قال الرسول "لا تتقمموا لأنفسكم أيها الأحباء لا تجازوا أحداً عن شر بشر"
(رو ١٢ : ١٩ ، ١٧) . إبعد عن العصب وعن الإستتارة والإنفعال وكما قال الرسول :
"لا يغلبك الشر، بل اغلب الشر بالخير" (رو ١٢ : ٢١) .

واعرف أن الذى يحتمل هو الأقوى . أما الذى لا يستطيع أن يحتمل، فهو الضعيف .
لذلك قال الرسول "يحب علينا نحن الأقوياء، أن نحتمل ضعفات الضعفاء، ولا نرصى
أنفسنا" (رو ١٥ : ١) .

★ لا تطالب الناس بمثلاليات . وإنما إقبلهم كما هم . بواقعهم ، وليس كما ينبغي أن
يكونوا .

إننا نقبل الطبيعة كما هي : الفصل المطير ، والفصل العاصف ، والفصل الحار ،
دون أن نطلب من الطبيعة أن تتغير . فلنكن هكذا معاملتنا لمن نقابلهم من الناس . ليسوا
كلهم أبراراً طيبين . كثير منهم لهم ضعفات ، ولهم طباع تسيطر عليهم . إنهم عينات
مختلفة، وبعضها مثيرة . فلنأخذ منهم موقف المتفرج، وليس موقف المنفعل . وعاملهم
حسب طبيعتهم ، بحكمة .

★ بالوداعة والتواضع يمكن مسالمة الكثيرين .

إن قيل إنه بالروح الرياضية يمكن أن نكسب الكثيرين وتسالمة المهم ، فكم بالأكثر
بالوداعة والإتضاع .. وإن كنت فى مجال الدفاع عن الحق، فافعل ذلك بهدوء وباتضاع .
لك أن تح الحق ، وأن تدافع عن الحق، ولكن ليس لك أن ترغم الناس على السير
فيه . إن الله نفسه أعطانا وصايا، ولم ير غمنا على طاعها .

الاستثناء الوحيد فى موضوع المسالمة . هو معاملنا الهراطقة والمبتدعين وفاسدى
الخلق .

بحر لا يستطيع أن نجامل المنتعير والهرطقة على حساب التقريط في الإيمان . فقد
قال القديس يوحنا الحبيب " إن كان أحد يأتيكم ولا يجئ بهذا الإيمان ، فلا تقبلوه في البيت ،
ولا تقولوا له سلام . لأن من يسلم عليه يشترك في أعماله الشريرة " (٢يو ١٠ : ١١) .
إن أراد أحد أن يبعدك عن الإيمان ، فاحترس منه ولا تعامله ، ولا تقبله في البيت .
بنفس الوضع يمكن أن تبتعد عن محاولة أن يفسد خلقك ويقودك إلى الخطية .
واذكر قول الكتاب " لا تضلوا ، فإن المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة " (١كو ١٥ : ٣٣) . وأيضاً ما قيل في المزمور الأول " طوبى للرجل الذي لم يسلك في
مشورة الأشرار . وفي طريق الخطاة لم يقف . وفي مجلس المستهزئين لم يجلس " (مز ١) .



وفي السلام الداخلي: الإطمئنان وعدم الخوف

الخوف

إن عدم وجود السلام للقلبي يسبب الخوف . بل يسبب أيضاً القلق والإضطراب والانعراج.. ومتاعب نفسية كثيرة ...

انظروا إلى إنسان يمتلك السلام قلبه، مثل داود النبي. نراه يقول في مزاميره "إن يحاربني جيش، فلن يخاف قلبي. وإن قام عليّ قتال، ففى هذا أنا مطمئن" (مز ٢٧).
وأيضاً إن سرت فى وادى ظل الموت، فلا أخاف شراً، لأنك أنت معي" (مز ٢٣).
الجيش كله خاف من ملاقاته جليات ، لكن داود لم يخف .

كان قلبه مثل قلب أسد . مع أنه كان شاباً صغيراً، وأخوته الأكبر منه كانوا خائفين..
والملك شاول نفسه قال له "لا تستطيع أن تذهب لتحاربه، لأنك غلام وهو رجل حرب منذ صباه" (١صم ١٧: ٣٣) .

ولكن داود القوي القلب قال للملك "لا يسقط قلب أحد بسببه.. عبدك يذهب ويحاربه"
وحكى كيف أنه فى صباه كان يرعى عمه، فجاء أسد مع دب ، وأخذ شاه من القطيع
ولم يخف داود من كليهما، بل خرج وراء الأسد ، وألقى الشاة من فمه. وقتل الأسد والدب
جميعاً" (١صم ١٧: ٣٤ - ٣٦) .

وعدم خوف داود من جليات الجبار، كان مرتكزاً على عمل الرب .

قال داود "الحرب للرب" وليس الخلاف بسيف أو برمح.. وقال للجبار "أنت تلتى إلى
بسيف ورمح وبترس، وأنا أتى إليك باسم رب الجنود" ففى هذا اليوم يحبسك الرب فى
يدى .. إنها ثقة قوية بعمل الرب ورعايته . لذلك لم يخف مطلقاً، وبإيمانه ادخل إسم الله
إلى ساحة الحرب .. الله الذى هو أقوى من جليات الجبار، ومن كل جبابرة الأرض،

لذلك قال عن جليليات "لا يسقط قلب أحد بسببه" (اصم ١٧: ٣٢) ...

وهكذا الذى يملك السلام قلبه، ليس فقط يكون مطمئناً، بل أيضاً يشيع الإطمئنان فى القلوب. فكمثال داود، كان موسى واليشع: كل منهما فى سلامه واطمئنانه، كان يبعث نفس الإطمئنان فى قلوب غيره.

جيش الأعداء كان يحيط بالسامرة، وكان اليشع النبى مطمئناً. أمام تلميذه جيحزى وكان خائفاً، لأنه لم يكن يبصر المعونة الإلهية المحيطة بالمدينة. لذلك قال اليشع لتلميذه جيحزى "لا تخف لأن الذين معنا أكثر من الذين علينا" (٢مل ٦: ١٦). وصلى إلى الله لكي يفتح عينى الغلام فيرى ...

والشعب أمام البحر الأحمر من ناحية، وفرعون من ناحية أخرى. خافوا إذ رأوا الموت يهددهم، ولم يكن لهم الإيمان الذى يرون به خلاص الرب. أما موسى فلم يخف. بل قال للشعب "لا تخافوا. قفوا وأنظروا خلاص الرب.. الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون" (خر ١٤: ١٣، ١٤).

بالإيمان نرى معونة الله وخلاصه. فلا نخاف.

بطرس الرسول وهو ماش مع الرب على الماء، لما نظر إلى الأمواج "ولما رأى الريح شديدة خاف وابتدأ يغرق" (مت ١٤: ٣٠) وسبب ذلك أنه كان ينظر إلى الموج، وليس إلى المسيح الذى يمسك بيده وينجيه. لذلك وبخه السيد على عدم إيمانه وقال له "يا قليل الإيمان، لماذا شككت" (مت ١٤: ٣١). إن الله دائماً يدعونا إلى عدم الخوف.

إنه يقول "لا تخافوا. لا تضطرب قلوبكم ولا تجزع" "سلامى أترك لكم.. سلامى أنا أعطيكم" (يو ١٤: ٢٧). وكان الله دائماً يقوى أولاده، ويدعوهم إلى عدم الخوف.. لما أحس يشوع بالصعف بعد موت موسى النبى، قال له الرب "كما كنت مع موسى النبى أكون معك، لا أهلك ولا أتركك" تشدد وتشجع. لا تهرب ولا ترتعب، لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب" بل قال له أكثر من هذا "لا يقف إنسان فى وجهك كل أيام حياتك" (يش ١: ٩-٥).

وما أجمل العبارة المعرية التى قالها لبولس الرسول عى رؤياه "لا تحف، بل تكلم ولا تسكت، لأنى أنا معك، ولا يقع بك أحد ليؤذيك" (أع ١٨: ٩، ١٠). وعندما كان يعقوب أبو الآباء خائفاً من أخيه عيسو، ظهر له الرب فى رؤياه وعزاه. وقال له "ها أنا معك،

وأحفظك حينما تذهب، وأردك إلى هذه الأرض" (تك: ٢٨: ١٥) .

إن الخوف يخل على الطبيعة البشرية، لم يدخل إلى النفس إلا بعد الخطية .

كان آدم يعيش مع الوحوش ، مع الأسود والنمور والفهود ، ومع الثعابين والديب ، وما كان يخاف ، وكذلك كان أبونا نوح في الفلك مع كل هذه الوحوش، وكان يعتنى بها ويطعمها ، وما كان يخاف .

آدم لما أخطأ بدأ يخاف . واحتبأ خلف الشجر، وقال للرب "سمعت صوتك في الجنة فخشيت، لأنى عريان فاخبتأت" (تك: ٣: ١٠) .

وكما خاف آدم بعد الخطية ، كذلك خاف قايين .

وقال للرب "تنبى أعظم من أن يحتمل . ها قد طردتني اليوم عن وجه الأرض، ومن وجهك أختفى . وأكون تائهاً وهارباً في الأرض. فيكون كل من وجدنى يقتلنى" (تك: ٤: ١٣، ١٤) . وقضى قايين بقية أيامه في رعب، فاقداً لسلامه الداخلى .

الخطية تشعر الإنسان بأنه انفصل عن الله مصدر القوة والحماية ، فيخاف ...

يخاف من الخطية وانكشافها وفضيحتها أمام الناس ، ويخاف من نتائج الخطية ، ومن عقوبة المجتمع أو القانون ، ويخاف من الله نفسه ودينوته ، ويخاف من ضعفه أمام الخطية، ومن الشيطان الذى انتصر عليه .

فإذا حصل الإنسان على مغفرة الله وستره ، فلا يخاف ، وإن آمن بمعونة الله له فى ضعفه ، فلن يخاف لأن مجرد شعوره أن الله معه، يزرع الخوف من قلبه .
الإنسان الخائف ، ينظر إلى سبب الخوف وليس إلى الله الذى ينجيه منه .

أسباب الخوف

ما أكثر اسباب الخوف ، وهى نابعة من داخل الإنسان .

البعض يخاف من كلام الناس ، ومن بطشهم ، ومن مؤامراتهم .

والبعض يخاف من حسد الناس .

وطالما هو يؤمن بالعين الحاسدة وأثرها السئ، سيظل خوفه مستمراً . وليس مصدر خوفه هو قوة عين الحسود، إنما السبب يكمن فى ضعف قلبه الذى يؤمن بالحسد .

وقد يخشى أحدهم من الناس الأشرار ، ولا يضع فى قلبه معونة الله .

كان ارميا يخاف من الناس . أما الرب فقال له "لا تخف من وجوههم ، لأنى أنا معك - يقول الرب - لأنك .. هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة وعمود حديد واسوار نحاس على كل الأرض .. فيحاربونك ولا يقدرون عليك ، لأنى أنا معك لأنك" (أر ١ : ١٨ ، ١٩) .

وقد يخاف إنسان من قوم ، وهم لا يفكرون مطلقاً في إيذائه .

مثلاً كان شاول الملك يحاف داود ، ويطارده في كل مكان ليقتله . بينما لم يفكر داود إطلاقاً في أن يؤذي شاول حتى عندما وقع في يده، وكان بإمكانه أن يقتله ونصحه أتباعه بذلك .. قال داود "حاشا لى أن افعل هذا الأمر بسيدى مسيح الرب ، فأمد يدى إليه، لأنه مسيح الرب هو . وويخ داود رجاله، ولم يدعهم يقومون على شاول" (١صم ٣٤ : ٦ ، ٧) .. وقال للملك لما استيقظ "وراء من خرج ملك إسرائيل؟ وراء من أنت مطارد؟ وراء كذب ميت؟ وراء برغوث" .. وكانت النتيجة أن شاول الملك رفع صوته وبكى وقال لداود "أنت أبر منى" (١صم ٢٤ : ١٤ ، ١٦) .

كان يخاف من وهم . من شئ غير موجود ، كخوف الأطفال .

الطفل يخاف من أوهام . من أمور يتصورها قلبه الخائف، ويخترعها فكره الخائف، مثل أن يخاف من الظلام .. وليس وراء الظلام ما يخيف .. أو يخاف من (حراسى) غير موجود .. أو يخاف من (عفريت) وليس هناك عفرات .. إنها أوهاه يخترعها القلب الخائف . أو يخاف الطفل من وجوده وحده ، وعدم وجود أحد إلى جواره يحميه من أى خطر غير معروف . ويصرخ الطفل ويبكى بلا سبب إلا الخوف .

وتستمر مخاوف الطفولة عند البعض وهم كبار .

يخاف من امتحان ، ربما يكون صعباً والأسئلة معقدة ، أو من التصحيح وقد يكون قاسياً .. وإن نجح وقدم على الوظيفة وطلبوه للمقابلة يخاف من الـ Interview ، وربما يفشل فيه ...

وقد تخاف فتاة من لقاء عريس جاء لخطبتها .

ربما لا تعجبه ربما يذهب ولا يعود . وربما تخاف مما يقوله الناس بعدئذ .. وتخاف من لقاء عريس آخر، لنلا يذهب كما فعل سابقه وتستمر المحاوف ... وقد يخاف الإنسان من الفشل .

فإن قام بأى مشروع يخاف أن يفشل ، يخف أن تقف أمامه معوقات ، أو مؤامرات من المنافسين ، أو خيانة وسرقات من الشركاء .
إن كان فقيراً ، يخاف من العوز ، وإن كان غنياً يخاف من السرقة ، وعلى أية الحالات يخاف ...

وإنسان يخاف من المخاطر .

إن ركب طائرة يخاف أن تحدث لها كارثة، ويتذكر كل كوارث الطائرات وما نشر عنها فى الصحف.. وفى كل طرق المواصلات، يخاف من الحوادث، لا يصع أمامه النقط البيضاء .. إنما كل سجل النقط السوداء حاضر فى ذهنه ، فكره هو الذى يسميه ويحييه .

وإنسان آخر يخاف من نفسه :

يخاف من عجزه ، من عدم قدرته ، من نسيانه ، من ضعفه أمام قوة منافسيه وخصومه .. يخاف من عدم قدرته على الإستمرار ، لذلك، يفقد الثقة بالنفس ، ويفقد روح الجرأة والإقدام ، ويفقد القوة على البدء بأية مبادرة. صورة العجز والفشل ماثلة أمامه باستمرار .. إنه يخاف حتى من الخطيئة وعجزه عن مقاومتها .

الخوف يسبب له الإضطراب والقلق والإزعاج ، بل الخوف يشل تفكيره عن العمل . ويكون له تأثيره على نفسه وعلى أعصابه.. ويظهر الخوف فى ملامحه ، فى نظراته، فى لهجة صوته، فى حركات جسده . بل قد يرتعش ويصفر وجهه . ويخفق قلبه، ويكون مكشوفاً أمام الكل أنه خائف ... وقد يظهر الخوف فى تصرفاته، فى تردده، وعدم قدرته على إتخاذ قرار ، وفى بحثه عن حماية ...

والبعض قد يقوده الخوف إلى الإبطاء ، وإلى تكرار عبارة "يكون كل من وجدنى يقتلنى" (تك: ٤ : ١٤) .

أما الإنسان الروحى فلا يخاف ، بل يملك السلام على قلبه ، وبالسلام الطمأنينة .

وقد يخاف إنسان من الموت :

أو يخاف من المرض الذى يؤدى إلى الموت .

وإذا أصيب بمرض تنهار معنوياته ، ويتصور اقصى ما يمكن أن يتطور إليه المرض، مثلاً يفكر بعض الأطباء إذا مرضوا .. وقد يداف البعض من العدوى، ويتخذ لتفاديها وسائل تخرج عن الحد المألوف !.

الذين لا يخافون

أما الإنسان الروحي ، الذى يملك السلام على قلبه ، فلا يخاف الموت .
لأن استعداده للموت بالحياة النارة ، ينزع خوف الموت من قلبه . بل على العكس
يشتهى الموت ، الذى يفضله إلى عشرة المسيح والملائكة والقديسين .
ويذكر قصص الشهداء وآباء البرية .

الشهداء الذين لم يخافوا الموت ولا التعذيب ولا التهديد . ولا الولاة ولا المحاكمات
ولا السجون . وكانوا يرتلون فى السجون ، وفرحون بلقاء الرب .. سيرة قلوبهم القوية ،
تمسك قوة فلا تحاف ، ويملك السلام على قلبك ...
كذلك آباء البرية ، الذين ما كانوا يخافون الوحدة فى البرارى .

بل يحدون فيها متعة روحية ، وما كانوا يخافون حروب الشياطين ، ولا وحوش
البرارى ، ولا ديبب الأرض ، وبعضهم كان يسكن أحياناً فى القبور ، ولا يحاف . ومعروفة
قصة ما معار الذى نام فى مقبرة وقد وضع جمجمة تحت رأسه ، فتحدث معها الشياطين
لكى يعزوه ، وبكلام هراء ، حتى يفقد هدوء قلبه ... ولم يحف .

كونوا إبن أقوىء القلب ، وعيشوا فى سلام . لا تحافوا ، وليكن لكم سلام فى قلوبكم .
لكى يحتفظ الإنسان بسلامه واطمئنانه ، ينفعه أن يتذكر قوة الله الحافظة .
يؤمن بأن الله موجود ، وأنه يعمل لأحله ، كما يؤمن أن كل مشكلة لها حل ، وأن الله
عنده حلول كثيرة وغير المستطاع عند الناس ، مستطاع عند الله ، "وكل شئ مستطاع
للمؤمن (مر ١٩ : ٢٤) .

ولكى يحصل على السلام الداخلى ، يتذكر أن ملاك الله حال حول خائفيه وينجيهم ،
وأنت محاطون بملائكة كثيرين لحفظنا . وفى الكتاب أمثلة عديدة لهذا . كذلك يتذكر عمل
لقديسين وصلواتهم من احلنا وشفاعتهم فينا ، وأما لسنا حدنا . كذلك يتذكر عمل النعمة
والروح القدس فينا .

وفى الإطمئنان ، لنحترس من الإطمئنان الزائف .

مثل مريض بسرطان خطير ، يدخلون الإطمئنان إلى قلبه ، بأن الممرض مجرد كيس
-هى سسط...! أو مثل إطمئنان مريض عام لعمل ، يشعره بوظيفه بأن كل شئ تمام! ويثق
بذلك دون فحص ...



مِنْ ثَمَرِ الرُّوحِ

②

طَوِيلُ الْأَيَّامِ

١- عِنْدَ اللَّهِ

هكذا قال القديس بولس الرسول "وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف.." (غل ٥: ٢٢، ٢٣) . وهذه الفضائل ترتبط معاً . فالذى عنده محبة، بالضرورة يحيا في فرح وسلام. والذى عنده محبة ، لابد أن يتصف بطول الأناة . وهكذا يقول الرسول أيضاً "المحبة تتأني.." (١كو ١٣: ٤) .

وطول الأناة ، توصف بأنها طول الروح ، وطول البال ، وسعة الصدر، والحلم، والصبر .

فالإنسان الطويل الأناة ، هو إنسان صبور حلیم طويل البال. واسع الصدر ورحب القلب. وقيل في ذلك عن سليمان الحكيم: "واعطى الله سليمان حكمة وفهماً كثيراً، ورحبة قلب كالرمل الذى على شاطئ البحر" (١مل ٤: ٢٩) . وقيل عن موسى النبي "وكان الرجل موسى حلماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" (عد ١٢: ٣) .

طول أناة الله

لله نفسه طويل الأناة طويل الروح .

لولا طول أناته علينا، لهلكنا جميعاً . وطول أناته تتبع من عمق رحمته وحنانه. وفي ذلك يقول داود النبي "الرب رحيم ورؤوف، طويل الروح، وكثير الرحمة" (مز ١٠٣: ٨) . ويقول القديس بطرس الرسول "احسبوا أناة ربنا خلاصاً" (٢بط ٣: ١٥) .

إنه يطيل أناته جداً في معاملة الخطاة .

كم أطال أناته على الأمم - في عبادتهم للأصنام - حتى تابوا أخيراً ورجعوا إليه .. أطال أناته على أهل نينوى، إلى أن صاموا متسحقين أمامه، فقبل توبتهم. وحزن يونان لأن الله لم يعاقبهم ! (يون ٣، ٤) .

أطال أناته مثلاً على فرعون ، الذى وعد مراراً ولم يفر .

كم صبر الله عليه فى قسوته وإدلاله للناس . وصبر عليه فى الصربات ، ليس فى واحدة فقط ، وإنما فى عشر صربات ... فى كل صربة ، كان يصرخ فرعون ويقول أحطأت (خر ٩: ٢٧) (خر ١٠: ١٦) .. وكان يعد بالتوبة ويرجع .. والله يطيل أناته ...!

إن طول أناة الله ، إنما تقتاد الخاطئ إلى التوبة . فإن لم يتب ، يتعرض لعقوبة الله . وهكذا يندر القديس بولس الرسول فيقول للخاطئ "أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة. ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب" (رو ٢: ٤ ، ٥) .

فلا تظن إذا أخطأت كثيراً ولم تنتك عقوبة، أن عدل الله قد كفّ عن العمل .

بل ربما إن كأسك لم تمتلئ بعد .. كما قال الرب مرة "لأن ذنب الأموريين ليس إلى الآن كاملاً" (تك ١٥: ١٦) .. كذلك لما اكتمل كأس سادوم ، حرقها الرب ببار" (تك ١٩) .
الله يطيل أناته ، لأن هذه هى طبيعته .

وطول أناته إنما تقتاد إلى التوبة ، أو إلى الدينونة .

ولعل من الأمثلة الجميلة لطول أناة الله، قصة تلك الينة التى ظلت ثلاث سنوات فى الكرم، دون أن تنتج ثمراً وجاءت فكرة قطعها بدلاً من أن تبطل الأرض. ولكن قيل :
"اتركها هذه السنة أيضاً، حتى انقلب حولها وأضع زبلاً" .

"فإن صنعت ثمراً، وإلا ف فيما بعد نقطعها" (لو ١٣: ٦ - ٩) . حقاً إن طول الأناة تعطى فرصة أخرى، فرصة لإصلاح الحالة .

لقد أطال الرب أناته على الشعب فى البرية ، على لرغم من أنه كان شعباً صلب الرقبة، كثير التذمر، كثير التقلب .. قال عنه الله "مددت يدي طول النهار، لشعب معاند مقاوم" (رو ١٠: ٢١) . ومع ذلك أطال أناته عليه، وأبقى منه بقية قال عنها إشعياء النبى "لولا أن رب الجود أبقى لنا بقية، لصربنا مثل سادوم وشابهة عمورة" (إش ١: ٩) .
ومن أمثلة طول أناة الله معاملته لأهل السامرة .

فى مرة إحدى قرى السامرة أعلفت أنوانها فى وجهه ، لأن وجهه كان متجهاً نحو أورشليم. فقال له تلميذه يعقوب ويوحنا أنشاء أن نزل نر من السماء فنفسهم. أما طول أناة الرب على السامرة فلم تجعل هذا بل استمر تلميذه نائلاً : لست تعلم من أى روح

أنتما. لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس ، بل ليخلص" (لو ٩: ٥٢ - ٥٦) . وجاء الوقت الذي خلصت فيه مدينة السامرة، وتعمدت وقبلت الروح القدس (أع ٨: ١٤ - ١٧) . عجيبة هي طول أناة الله على مضطهدي الكنيسة .

ولعل في مقدمتهم شاول الطرسوسي الذي قال عن نفسه "أنا الذي كنت قبلاً مجدفاً ومضطهداً ومفترياً. ولكني رُحمت لأنني فعلت ذلك بجهل في عدم إيمان" (١ تي ١: ١٣) . شاول هذا الذي "كان ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب.. حتى إذا وجد أناساً من الطريق رجالاً أو نساء، يسوقهم موقنين إلى أورشليم" .. (أع ٩: ١، ٢) . شاول هذا أطل الله أناته عليه ، حتى أصبح صعباً عليه أن يرفض منافس. وظهر له في الطريق إلى دمشق ودعاه إلى خدمته . وأصبح إناءً مختاراً له (أع ٩: ٣ - ١٦) ورسولاً للأمم، وتعبد أكثر من جميع الرسل في خدمة الله (١ كو ١٥: ١٠) .

يقيناً لو لم يطل الله أناته على شاول الطرسوسي، لفقدت الكنيسة هذا الإنسان الجبار في خدمته ، بولس الرسول .

أطل الله أناته على أريتاوس والي أنصنا، الذي كان قاسياً جداً وعنيفاً في اضطهاد القديمين أيام ديوقليديانوس الملك، وعلى يديه استشهد كثيرون . وطول أناة الله أمر أريتاوس، بل وصار شهيداً ، تحتل الكنيسة بذكراه ... وأطل الله أناته على كثير من الخطاة .

أمثال أوغسطينوس ، ومريم القبطية ، وبيلاجية، وموسى الأسود، وكثيرين غيرهم، وبطول أناة الله تاب هؤلاء كلهم . بل صاروا أنواراً في الكنيسة، يعثرون لرجاء في قلب كل تائب. فاوغسطينوس صار أسقفاً، وأحد معلمى الكنيسة الكبار . وموسى الأسود صار من كبار آباء الرهبنة. ومريم القبطية توحدت وصارت من السواح .. ترى لو لم يطل الله أناته على كل هؤلاء، أكانت نفوسهم تهلك؟! وتخسر الكنيسة كل بركاتهم !!..

أيضاً أطل الله أناته على كثير من الملحددين والوثنيين .

أطل أناته على روسيا البلشفية ، حتى عد أكثر من مائة مليون إلى الإيمان ، وكذلك رومانيا وكثير من بلاد الاتحاد السوفيتي، فأمس كل هؤلاء وفرحوا بالرب . وفي بدء المسيحية أطل أناته على كثير من فلاسفة الوثنية، حتى صاروا فلاسفة مسيحيين. بل أطل أناته على بعض السحرة ، فأمنوا ...

ومثال ذلك أثناسيوس الساحر الذى جهر سماً مميتاً تتولاه القديس مارجرس فلم يؤده .
وسيدراخس الساحر الذى جهز سماً للقديس أبأ قسطور . فلم يؤذه أيضاً . فأمن كل من
هذين الساحرين ، ونالا إكليل الشهادة . كان الله قد أطلأ أناته على كل منهما . إلى أن
أتى الوقت الذى يشعر فيه كل منهما بأن هناك قوة أقوى من سحره فيؤمر ...

إن الله ليس فقط يطيل أناته على الخطاة حتى يتوبوا ، إنما أيضاً هو طويل الأناة
من جهة تدبير الأوقات ...

إنه يختار الموعد الذى يراه مناسباً ليعمل فيه، ويدبر خططه الإلهية الحكيمة . ولعل
من أمثلة ذلك تدبير قضية القداء ..

لقد وعد أبونا الأولين بأن نسل المرأة سيسحق رأس الحية (تك ٣ : ١٥) . ومرت الاف
السنين، والحية رافعة رأسها تسحق عقب الآلاف من البشر بل الملايين .. ويطول أساة
عجيبة كان الرب ينتظر ملء الزمان الذى يتم فيه التجسد (غل ٤ : ٤) .

طول أناته انتظرت الوقت الذى توجد فيه العذراء القديسة التى تستحق هذا المجد
وتحتمله، والوقت الذى يوحد فيه يوحنا المعمدان الذى يهئ الطريق قدامه، وأيضاً الذى
فيه يوجد الإثنا عشر الدين يحملون الرسالة من بعده . وتكون النبوءات كلها قد تمت مع
باقى تفاصيل أخرى تجعل اختيار الوقت مناسباً ، وكله حكمة ...

إذن لا يحتج أحد ويقول : لماذا يارب قد تأخر عمل القداء ؟

كلا ، إنه لم يتأخر مطلقاً ، بل جاء فى نفس مواعده الذى حدده الله من قديم الزمان .
وكانت أناة الله تمهد لإعداد كل شئ . وتمهد أيضاً لفهم الناس وقبولهم . ولو كان القداء قد
تم منذ أيام آدم، ما كان أحد قد فهمه ولا قبله ولا آمن به ...

إننا نحاول أن نفهم الأزمنة بعقلنا القاصر ، والرب يقول :

"ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التى جعلها الأب فى سلطانه" (أع ١ : ٧) .

ليس لنا أن نستعجل الله فى العمل، أو نقول له كما سيق وقال داود فى تعبـه "اسرع
إلى معونتى .. اسرع ولا تبطئ" (مز ٧ : ١ ، ٥) .. لا يا داود ، تأكد أن الله فى طريقه
إليك، حتى قبل أن تطلب . وسوف تصل معونتـه فى أفضل وقت مناسب ...

أنظروا إلى قصة يوسف الصديق مثلاً :

اللقاء أخوته فى البئر، ولم يفعل الرب شيئاً لإنقاذه منهم . وباعوه كعبد . ويبدو أن الله

لم يتحرك. ثم يتهم يوسف ظمأً ويلقى به فى السجن، وتمر سنوات.. فهل كان الله قد أهمله وتركه؟! كلا. بل إن الله فى طول أناته، يعدّ ويدبر الأوقات والمناسبات التى يحول فيها يوسف إلى وزير أو أمير.

ولو كان الله قد حلّ مشكلة يوسف، من وقت إلقائه فى البئر، لظل يوسف مجرد راع بسيط...!

الله يعلم أولاده

قلنا إن الله طويل الأناة. ونقول أيضاً إنه يعلم أولاده طول الأناة أيضاً، ويدربهم على ذلك.

اتفق الله مع إيليا على إبرال المطر، بعد ثلاث سنوات ونصف من المجاعة. وذهب إيليا وصلى من أجل ذلك مرة ومرتين وثلاثاً.. إلى سادس صلاة، ولم ينزل المطر! ولم ييأس إيليا، واستمر فى الصلاة بطول أناة. وفى الصلاة السابعة، رأى غيمة فى حجم قبضة اليد (مل١٨: ٤٤). فعرف أن صلاته قد استجيبت...





مِنْ ثَمَرِ الرُّوحِ

②

طَوِيلُ الْأَيَّامِ
ب ـ عِنْدَ الْبَيْتِ

تكلّمنا عن طول الأناة عند الله. ونود أن نتكلّم الآن عن طول الأناة عندنا نحن البشر .
 مادمنّا قد خلقنا على صورة الله، كشبهه ومثاله (تك ١: ٢٦، ٢٧)، إذن ينبغي أن نكون
 شبيهه في طول الأناة .
 من منا لم يطل الله أباته عليه ، ولم يأخذه وهو في عمق خطاياه؟! ليتنا إذن نتعامل
 مع الناس بنفس الأسلوب، بطول الأناة . لأن الكتاب يقول "بالكيل الذي به تكيلون، يُكّال
 لكم" (مت ٧: ٢) ..

في التعامل

هناك من يتضايق من معاملات الناس وأسلوبهم الذي لا يستطيع أن يحتمله. يقول نقد
 نبهت فلاناً من الناس أن يغير أسلوبه في التعامل معي ، ولم يغيره! وربما تقول روجة
 هذا الكلام عن زوجها .

وللناس طباع يحتاجون في تغييرها إلى طول أناة .

ليس من السهل عليهم أن يغيروا طباعهم بسرعة .. ربما يريدون ولا يستطيعون .
 وقد يغلبهم الطبع فتكرر أخطاؤهم عن قصد أو غير قصد. وقد لا يشعرون أن ما يفعلونه
 خطأ ...

عاش التلاميذ مع السيد المسيح أكثر من ثلاث سنوات، يتعلمون منه . وكما قال لهم
 "تعلموا مني، فأني وديع ومتواضع القلب" (مت ١١: ٢٩). ومع ذلك فإنه عند القبض عليه،
 ضرب بطرس عبد رئيس الكهنة بالسيف، فقطع أذنه (يو ١٨: ١٠) فوبخه السيد قائلاً: رد
 سيفك إلى غمده، لأن الذين يأخذون بالسيف، بالسيف يهلكون" (مت ٢٦: ٥٢) .

إن القديس بطرس الرسول لم يستطع أن يقاوم طبع الإنديفاع الذي كان عنده ، وغلب

منه مرات. واحتاج إلى طول أناة من الرب أن يحتمله، حتى وقت غسل الأرجل (يو ١٣: ٦-١٠). وبفس الإندفاع تكلم وأخطأ حينما قال السيد المسيح إنه سوف "يتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويقتل وفي اليوم الثالث يقوم" (مت ١٦: ٢١). كل التلاميذ سكتوا، أما بطرس فلم يستطع أن يقاوم اندفاعه، وانتهر السيد قائلاً "حاشاك يا رب". فوبخه الرب على ذلك .

القديس موسى الأسود أيضاً احتاج إلى طول أناة عجيبة من معلمه القديس أيسونورس، حتى يتغير طبعه وحتى يصير قديساً ثابتاً وديعاً ومعلماً لكثيرين ... بطول الأناة ، لا يملأنا الغضب على الخطاة .

وفي هذا قال الكتاب "ليكن كل إنسان مسرعاً في الإستماع، مبطناً في التكلم، مبطناً في الغضب. هذا الإبطاء يعنى طول الأناة في الإستماع إلى الناس، وإعطاء فرصة للعقل أن يتدبر الأمر في حكمة، ويهدئ نفسه فلا يخطئ ... الإنسان الطويل الأناة هو إنسان بطئ الغضب .

إن الله كان طويل أناته علينا، لأنه يعرف ضعف طبيعتنا .

يقول داود النبي في ذلك "لا يحاكم إلى الأبد، ولا يحقد إلى الدهر . لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا.. لأنه يعرف جبلتنا. يذكر أننا تراب نحن" (مز ١٠٣: ٩-١٤). فليتنا نعامل بعضنا بعضاً بنفس الأسلوب، بطول أناة، واضعين أماننا ضعف الطبيعة البشرية وإمكانية سقوطها. فقد قيل عن الخطية إنها "طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلها أقوىاء" (أم ٧: ٢٦) .

فنى التربية والخدمة

البعض يتعب وقد يبأس ، إن لم تأت الخدمة ثمارها بسرعة. وقد يصفها - ظالماً - بأنها خدمة فاشلة. بينما تحتاج إلى طول بال لتتمو في هدوء .. كم من السنين قضى المسيح فى خدمة التلاميذ وإعدادهم . وبعد أكثر من ثلاث سنين، أمرهم أن لا يبرحوا أورشليم حتى يلبسوا قوة من الأعلى (لو ٢٤: ٤٩) .

تأمل الشجرة كيف أنها لا تعطى ثمراً إلا بعد سنوات :

والغارس يطيل أناته عليها حتى "تعطى ثمرها فى حينه" . وكل شجرة لها طبيعتها .

فمنها التى تنثر بعد ثلاث سنوات، والتى تعطى ثمراً بعد خمس سنوات أو بعد سبع .
والغارس فى كل ذلك الانتظار لا يقلق، بل يتدرب على طول الأناة .
الطفل هو تدرّيب آخر فى طول الأناة .

المرأة تحبل . وتطل ٩ أشهر فى إنتظار ولادة طفلها . الذى ينمو تدريجياً فى بطنها .
حتى يكتمل نموه فيخرج . وقد ترك هذا الأمر تأثيره فى القديس يوحنا ذهبى الفم ، فقال :
إن كان الجنين يأخذ فترة حتى ينمو جسدياً، فكم بالأولى الإنسان لينمو روحياً، يحتاج إلى
زمن وطول أناة .

كذلك فالطفل يحتاج إلى فترة حتى يتكلم وحتى يمشى وحتى يتعلم. ونحن لا نطالبه بما
هو فوق مستواه، بل نطيل انانتا عليه. ونفرح بتدرجه فى القامة وفى المعرفة .
أيضاً يلزم طول الأناة فى الكرازة والخدمة والتعليم

وكما قال القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس "عظ بكل أناة وتعليم" (٢تى ٤: ٢) .
ذلك لأن الناس قد لا يحتملون أحياناً الدرجات العالية فى الروحيات إن كانوا لم ينضجوا
بعد. وهكذا قال الرسول لأهل كورنثوس "سقيتكم لبناً لا طعاماً لأنكم لم تكونوا بعد
تستطيعون. بل الآن أيضاً لا تستطيعون . لأنكم بعد جسديون" (١كو ٣: ٢، ٣) . وينفس
الأسلوب وطول الأناة ، رأى الآباء الرسل "ألا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم. بل
يرسل إليهم أن يمتنعوا عن رجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم" (أع ١٥: ٢٩، ٢٠).
والسيد المسيح له المجد وبخ الكتب والفريسيين "لأنهم يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة
الحمل، ويضعونها على أكتاف الناس" (مت ٢٣: ٤) .

لذلك فالمستويات العالية من التعليم، لا تُعطى لكل أحد .
وإنما التدرج أو الأناة فى التعليم، هو الذى يأتى بنتيجة . وإن لم يستطع البعض أن
يمارس تدريبات روحية معينة، فلا تقسوا عليهم ولا تنتهروهم بشدة ، إنما اصبروا عليهم
وشجعوهم وكما قال الرسول :

"شجعوا صغار النفوس. اسندوا الضعفاء. تأنّوا على الجميع" (١تس ٥: ١٤) .
فلن خدم خادم فصلاً، ووجد تلاميذه لا يتحسسون بسرعة، فلا ييأس، ولا يتهم نفسه
بأنه لا يصلح للخدمة. كما لا يتهم المخدمين بأنه لا فائدة ترجى منهم! كلا، يا أخى، ليس
العيب فيك ولا فيهم . إنها طبيعة الخدمة تحتاج إلى وقت وطول بال . لذلك تأنّ عليهم،

ولا تظن أن طباع الناس تتغير فجأة بكلمة أو بنصيحة !

إن الدجاجة تلزمها فترة تحتضن فيها البيض ، حتى ينضج وتخرج فراخه . والبذار لابد أن تقضى فترة فى الأرض، حتى تخضر وتنمو، وتصير شجراً وتثمر. وكل هذا يحتاج إلى طول بال وانتظار ...

فانتظر إذن واصبر . فإن الكتاب يقول :

"من يصبر إلى المنتهى ، فهذا يخلص" (مت ١٠ : ٢٢) .

ويقول أيضاً "صبركم تقتنون أنفسكم" (لوقا ٢١ : ١٩) .

لقد قال داود النبى "انظرت نفسى الرب ، من محرس الصبح حتى الليل" (مز ١٣٠ :

٦ ، ٧) . يقصد من البداية حتى التمام، بكل طول أناة .

فى الصلاة

الإنسان الطويل الروح يصلى ، ولا يقلق من جهة استجابة الله لصلاته . يكفى أن الله قد سمعها . نترك الأمر إذن لمحبهه ... هو يستجيب الصلاة فى الوقت المناسب، وبالطريقة المناسبة، حسب حكمته وحسن تدبيره وتقديره للأوقات ...

هناك أشخاص ليس لهم طول أناة فى الصلاة . لا ينتظرون الرب . ومع ذلك يعاقبون الله كثيراً . ويكادون يغطونه أحياناً !!

ويقولون : يارب أنت .. وأنت ... وهو يطيل أناة عليهم وعلى عتابهم ..

يحتاج الأمر منهم إلى إيمان يعمل الرب لأجلهم ...

أحياناً يتباطأ الرب فى الإستجابة ، أو يخيل إلينا أنه تباطأ . وذلك لكى يدرينا على الصبر والإيمان . فلا يأتى إلا فى الهزيع الأخير من الليل .. ولا يفقد العمال إلا فى الساعة الحادية عشرة من النهار ! (مت ٢٠ : ٦ ، ٧) . كل ذلك لكى يعلمنا أن ننتظر الرب، ولكى نتدرب على طول البال ، هذه الصفة التى هى من صفات الله ...

أحياناً يبدو الله طويل البال فى حل المشاكل !!

ذلك لأن صاحب المشكلة يكون قلقاً ومرعجاً ، ويريد حلها فى التو واللحظة. وليس لديه طول بال ولا صبر على حل المشكلة.. بينما يكون الله قد استلم المشكلة، وبدأ فعلاً فى حلها ، بالأسلوب الذى يتناسب مع حكمته فى التدبير ...

طول بال الله ، إنما يفودك إلى اللجاجة في الصلاة ، وليس إلى القلق ...

مضار عدم طول الأناة

الإنسان الذى ليس له طول البال، يقع فى القلق والضجر والإنزعاج. وتتعب نفسه، ويفقد سلامه الداخلى ...

يقلق بسرعة ، كشخص فى كل دقيقة أو لحظة ينظر إلى الساعة !

★ وقد يصاب بالإندفاع والتسرع، مما يسبب له نتائج رديئة!

★ والذى ليس له صبر، ولا طول أناة، ربما فى تسرعه يأخذ قرارات أو مواقف ارتجالية أو هوجائية. كالشخص الذى يرى أن الله لم يستجب صلواته، فيقسم أنه لن يدخل الكنيسة!! إحتجاجاً منه على الله ..!

★ قد يفود القلق وعدم طول البال إلى الإعتماد على الذراع البشرى والحكمة البشرية الخاطئة .

مثال ذلك حينما ظن أبونا إبراهيم أن الله لم يعطه نسلأ حسبما وعده ، فلجأ إلى الحكمة البشرية ليتخذ هاجر زوجة له تحب له ابناً (تك ١٦ : ١ - ٤) .. أو لم يجد أن نسله لم يصير مثل نجوم السماء فى الكثرة، فأخذ قطورة زوجة فولدت له بنين كثيرين (تك ٢٥ : ١ - ٤) .

والعجيب أن الطرق البشرية قد تلتى بنتائج سريعة، ولكنها ليست حسب مشيئة الله، التى قد تتأخر ولكن فى حكمة وبركة ومنفعة .

طريقة الله هادئة ، وتسير خطوة خطوة ، حتى تصل بسلام ..

★ هناك أشخاص ليس لهم طول بال حتى فى الكلام مع الناس. فيقاطعون غيرهم، ولا يستطيعون أن ينتظروا إلى أن ينتهى مخاطبهم من كلامه لكى يتابعوه بعد ذلك .

★ وقوم ليس لهم طول بال فى حل مشاكلهم ، فيجأون إلى أهل السحر والشعوذة، لعلهم يجدون عندهم العون والحل!!

ما أكثر أخطاء الذين ليس لهم أناة وطول روح ...



مِنْ شَمْرِ الرُّوحِ

٥

اللطائف

هكذا قال الكتاب "وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام، طول أناة لطف..". وقد تحدثنا في الأبواب السابقة عن المحبة والفرح والسلام، ونود أن نحدثك الآن عن اللطف...

قال الرسول عن السيد الرب "...أم تستهين بفنى لطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة" (رو ٢: ٤). إذن من لطف الله أنه يطيل أناته علينا، لكي بلطفه وطول أناته يقتادنا إلى التوبة.. ويقول الرسول أيضاً "حين ظهر لطف الله محلصنا وإحسانه، لا بأعمال في بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس" (تى ٣: ٤، ٥). إذن مغفرة الله التى قدمها لنا فى الفداء والمعمودية هى دليل على لطفه ورحمته وأحسفه...

اللطف هو من صفات الله فى معاملته للبشر. وهو أيضاً من صفات رسله.

وهكذا قال القديس بولس الرسول فى خدمته للرب هو وجميع العاملين معه "فى كل شئ نطهر أنفسنا كخدام الله فى صبر كثير.. فى أتعاب فى أسهار فى أصوام، فى طهارة فى علم، فى أناة فى لطف.." (٢كو ٦: ٤-٦).

ودعانا الآباء الرسل إلى السلوك بلطف:

فقال القديس بولس الرسول "كونوا لطفاء بعضكم نحو بعض" (أف ٤: ٢٢). وقال أيضاً "البسوا كمحتارى الله القديسين المحبوبين أحشاء رافقات ولطفاً وتواضعاً ووداعة وطول أناة" (كو ٣: ١٢). وهنا نلاحظ أن هذه الفضائل ترتبط ببعضها البعض: اللطف مع الوداعة والتواضع والرافقة وطول الأناة.

ويقول القديس بطرس الرسول "كونوا جميعاً متحدين فى رأى، بحدس واحد، ذوى محبة أحرية، مشفقين لطفاء، غير مجازين عن شرّ بشر، أو عن شتيمة بشتيمة، بل

ولعلنا هنا نسأل : ما هو اللطف وصفاته ؟ وكيف يسلك اللطفاء ؟

اللطف هو كل هذه الفضائل التي ذكرها الكتاب مجتمعة .

هو ثمرة طبيعية لحياة الوداعة والرقّة والبشاشة والإتضاع، والبعد عن الخشونة والعنف والقسوة والتعالى . ومادام هو من ثمر الروح، إذن فهو من ثمر "الروح للوديع الهادئ" (١بط: ٤) . وهكذا يكون الإنسان اللطيف .

هناك أشخاص - للأسف الشديد - يظنون أن الحياة الروحية هي مجرد صلاة وصوم، بينما يسلكون بطريقة منفرة في معاملة الآخرين!! ولكنني أقول :
إن لم تكن لطيفاً في تعاملك، فأنت شخص غير متدين على الإطلاق .

ذلك لأن اللطف من ثمر الروح كما يقول الكتاب (غل: ٥: ٢٢) . فالذي ليس في حياته هذا الثمر - أي اللطف - لا يكون إنساناً روحياً، لأنه لا يسلك بطريقة روحية .. كونوا إذن "لطفاء بعضكم نحو بعض" (١كو: ١٣: ٢٢) .

هذا اللطف نراه في معاملة الأب مع الابن الضال، وأخيه الضال الأكبر .

الابن الضال جاء إلى أبيه يطلب منه أن يعطيه نصيبه من الميراث! فلم ينتهره الأب ولم يقل له : كيف هذا يا ابني!؟ كيف ترثني وأنا حي!؟ إنما بكل لطف وهدوء قسم ماله وأعطاه نصيبه ... ولما أنفق هذا المال بعيش مسرف ، واحتاج وجاع ، وعاد إلى أبيه معترفاً بأنه أخطأ، قبله الأب بفرح، بل لما رآه من بعيد ، وقبل أن يعترف تعنّن الأب، وركض ووقع على عنقه وقبله" (لو: ١٥: ٢٠) . وألبسه الحلة الأولى، وجعل خاتماً في أصبعه، ونبّح له العجل المسمّن، وفرح برجوعه .. أي لطف هذا في المعاملة .

باللطف لم يكسر نفسه في رجوعه ، ولم يخجله ، ولم يوبخه .

وأيضاً الابن الأكبر حينما غضب لإكرام أخيه العائد ، ورفض أن يدخل البيت وأن يشترك في الفرح بعودة أخيه .. ولكنه تهادى واتهم الأب بالبخل وعدم العدل، وقال له "ها أنا أخدمك سنين هذا عددها ، وقط لم أتجاوز وصيتك. وجدياً لم تعطني لأفرح مع أصدقائي. ولكن لما جاء ابنك هذا الذي أكل معيشتك مع الزواني، دسحت له العجل المسمّن!!" . ولم يغضب الأب لهذا العتاب القاسي بكل ما فيه من أخطاء . وبكل لطف أجابه "يا ابني أنت معي في كل حين. وكل مالي فهو لك. ولكن كان ينبغي أن نفرح

ونسرة، لأن أخاك هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوجد" (لو ١٥: ٢٥-٣١) .

لم يحاسبه ولم يعاتبه على اتهاماته له ولأخيه ، وإنما في لطفه، ردّ عليه إيجابياً "أنت ابني" "كل مالي فهو لك" "كان ينبغي أن نفرح..." .

القلب العامر باللطف لا يوبخ كثيراً. وإن وبخ لا يستخدم كلاماً جارحاً .

ولنا مثال على ذلك موقف سيدنا يسوع المسيح من تلميذه بطرس الذي أنكره ثلاث مرات، وسبّ ولعن وقال عنه : لا أعرف الرجل (مت ٢٦: ٦٩-٧٤) . فلما التقى به الرب بعد القيامة، وأراد أن يوبخه على إنكاره، لم يذكره بأنه أنكره ثلاث مرات، وأنه حلف وسبّ ولعن وقال لا أعرف الرجل! وإنما قال له ثلاث مرات "يا سمعان بن يونا، أتحنيني أكثر من هؤلاء" . وفي كل مرة يجيب فيها بطرس بعبارة إني أحبك، كان يقول له إرغ غنمي" أو "إرغ خرافي" . وأحس بطرس بهذا التوبيخ اللطيف وحزن. وقال له "يارب، أنت تعلم كل شيء. أنت تعرف إني أحبك" (يو ٢١: ١٥-١٧) .

حقاً . إن القلب العامر باللطف ، يكسب الناس بلطفه .

لقد استطاع الرب أن يكسب زكا العشار، والمرأة السامرية، والخاطئة المضبوطة في ذات الفعل، وتلك التي بللت قدميه بدموعها ومسحتها بشعر رأسها .. كل أولئك كسبهم باللطف . عاملهم بلطف. لم يوبخ أحداً منهم، ولم يستخدم التوبيخ والكلام القاسي ...

ما أشد قسوة بعض (المتدينين) في معاملتهم للخطاة ، أو من يظنونهم خطاة! وما أكثر ما يستخدمون من عبارات جارحة في توبيخهم! ويحسبون أن هذه غيرة مقننة منهم وشهادة للحق! وأنهم يقودونهم بهذا إلى التوبة . ولكن السيد المسيح لم يكن هكذا، بل قيل عنه :

"لا يخاصم ولا يصيح، ولا يسمع أحد في الشوارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفى" (مت ١٢: ٢٠) (إش ٤٢: ٣) .

لم يذكر زكا العشار بشئ من كل أخطاء ماضيه . بل وسط الزحام، وقف عنده بالذات، وناداه باسمه ، ودعا نفسه أن يدخل بيته ويبيت عنده. ولما تنمر الجميع قائلين إنه دخل ليبيت عند رجل خاطئ" . دافع السيد المسيح عن زكا قائلًا إنه هو أيضاً ابن لإبراهيم. وأعلن أنه "اليوم حصل خلاص لهذا البيت" (لو ١٩: ٥-٩). ترى لو وبخ زكا، أكان سيكسبه!؟ كلا، بل باللطف قد كسبه ...

فرق كبير بين القسوة التي توبخ الإنسان على خطاياها، وبين اللطف الذي يجعل الخاطئ من تلقاء ذاته يعترف بخطاياها ويتوب عنها .

وهذا هو ما حدث مع زكا . لم يقل له السيد إنه خاطئ، بل قد جعله مستحقاً أن يست الرب في بيته، على الرغم من سمعته الرديئة . وبهذا اللطف قال زكا ها أنا يارب أعطى نصف أموالى للمساكين . وإن كنت قد وشيت بأحد، أريد أربعة أصعاف" (لو ١٩ : ٨) . وبالمثل في معاملة الرب للسامرية :

لم يوجهها على خطاياها وسيرتها البطالة . ولم يلق عليها درساً في القوة والعفة .. إنما بكل لطف، حدثها عن الماء الحي، وعن السحود لله بالروح والحق (يو ٤ : ١٤ ، ٢٣) . ولطف أيضاً استدرجها إلى الإعتراف . قال لها "ادهنى وادعى زوجك ولم يكن هو زوجها . إنما علاقة ذلك الرجل بها، علاقة لا توصف إلا بكلمة جريحة لم يسمح الرب أن يقولها لكيلا يחדش شعورها . بل قال حسناً قلت إنه ليس لك روح . لأنه كان لك خمسة أرواح . والذي لك الآن ليس هو زوجك . هذا قلت بالصدق" (يو ٤ : ١٦ - ١٨) . وهكذا جعل الإعتراف المتعب بين مديحين: سبقه بعبارة مديح هي "حسناً قلت . وختمه بعبارة مديح هذا قلت بالصدق" .

فعلى الرغم من حياتها الحاطئة ، وجد فيها شيئاً يستحق المديح، فمدحها عليه . وبهذا اللطف اقتادها إلى التوبة ، بل إلى الإيمان أيضاً ، وإلى التبشير بهذا الإيمان .. فعالت له المرأة "يا سيد، أرى أنك نبى . وذهبت تنشره بين شعبها قائلة تعالوا أنظروا إنساناً قال لي كل ما فعلت . أعل هذا هو المسيح" (يو ٤ : ٢٩) ... وهكذا كسبها المسيح وكل أهل مدينتها إلى الإيمان (يو ٤ : ٤٢) .

وبنفس اللطف عامل السيد الرب المرأة المضبوطة في ذات الفعل .

كان الكتبة والعريسيون حولها كالوحوش يريدون رجمها ، ويريدون منه أن يوافق على ذلك حسماً تقول الشريعة . أما هو - فكل لطف - دافع عن هذه المرأة الذليلة الخجلى . ووجه المطالبين برجمها قائلاً لهم "من كان منكم بلا خطية، فليرمها أولاً بحجر" (يو ٨ : ٧) . "واحنى إلى أسفل ، وكان يكتب على الأرض". ولعله كان يكتب على الأرض خطايا كل منهم . نعم، إن كانت هذه المرأة قد ضبظت في ذات الفعل ، فلا بد أنه كان هناك رجل يخطئ معها في ذات الفعل أيضاً . وكما قال الشاعر فؤاد بليبل عن مثل هذه المرأة :

ودعوك نائحة الأثيم من الهوى

كذبوا فإن الذنب ذنب المشتري

وبعد أن أنقذ السيد هذه المرأة من الذين أدانوها، ومضوا جميعاً.. قال لها "وأنا أيضاً لا أدينك. اذهبي ولا تعودي تحطئي أيضاً"...

ما كان ممكناً لهذه المرأة أن تجد شخصاً لطيفاً كهذا، ينقذها من الرجم، ويدين طالسي رحمها فيصرفون. ويقول لها "ولا أنا أدينك..".

وبنفس اللطف عامل الخاطئة التي غسلت قدميه بدموعها.

لم يقل لها كلمة واحدة جارحة، بل قال لها مغفورة لك خطاياك (لو ٧: ٤٨). وأظهر لسمعان الفريسي الذي انتقدها إنها أفضل منه، وأنها قد أحبت كثيراً، لذلك غفر لها الكثير. وذكر لها فضائلها. وهكذا فإن الرب بلطفه قد وجد فيها أشياء يمكن إمتداحها بسببها. ثم قال لها أخيراً: "إيمانك قد خلصك. اذهبي بسلام" (لو ٧: ٥٠).

حقاً إن اللطف يكتشف النقط البيضاء فيمتدحها، ولا يركز على النقط السوداء.

تحصرنى بهذه المناسبة قصة مدير مدرسة للطيران...

كان قد أعد الطلبة للامتحان النهائي العملي للتخرج. وصعد أحد الطلبة بالطائرة، وإذا بزمامها يقلت من يده، وبدأت تتأرجح في الهواء بطريقة مخيفة. وشعر قائدها بأنه قد فشل في الإمتحان ولابد سيرفت من المدرسة، فعلى الأقل فيلنقد نفسه من الموت. وهكذا جاهد حتى برل بها إلى الأرض سالماً.. واقتل إليه مدير المدرسة، وقد توقع أن يسمع منه قرار الفصل. ولكن مدير المدرسة شدّ على يد بحرارة وهو يهنئه قائلاً "على الرغم من خطورة الموقف، فإنك نجحت في أن تنزل بالطائرة سالماً كأمر طيار رأيتَه في حياتي". وبهذا الكلمات اللطيفة، أدخل الطمأنينة إلى نفسه. ثم قدّم له بعض النصائح..

إن القلب اللطيف لا يحتقر الضعفاء، بل يسندهم.

وهكذا يقول الكتاب "شجعوا صغار النفوس. اسندوا الصغفاء.

تأنوا على الجميع" (١ تس ٥: ١٤). نعم، لولا هذه المعاملة من الله لنا، لهلكنا جميعاً. إنه يقول في مسألة المديونين اللذين على أحدهما حمسمائة دينار وعلى الآخر خمسون "وإذ لم يكن لهما ما يوفيانه، سامحهما جميعاً" (لو ٧: ١٢). إنه لم يحتقر أورشليم المدوسة بدمها، بل غسل عنها دماءها، ومسحها بالزيت، وجعل تاج جمال على رأسها، فصلحت لملكة" (حر ١٦: ٦-١٣).

بل إن الرب يعذر المخطئين - بلطفه - ويوجد لبعضهم عذراً .

التلاميذ الثلاثة الذين كانوا معه في سستان جسيماني، ولم يستطيعوا أن يسهروا معه ساعة واحدة، عذرهم قائلاً "أما الروح فنشيط، وأما الجسد فضعيف" (مت ٢٦: ٤١). فعلى الرغم من نومهم، قال لهم بلطفه: "أما الروح فنشيط. والتمس لهم عذراً من جهة ضعف الجسد ...

وفى (مرمور ١٠٣) يقول الكتاب عن لطف الله وتحبسه "لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب اثمنا" لماذا؟ لأنه يعرف جبلتنا. يذكر أننا تراب نحن". وبفس اللطف تصلى الكنيسة في أوشية الراقدين، تطلب لهم الرحمة "إذ لبسوا جسداً، وسكنوا في هذا العالم..".

إن الله بلطفه، يقدّر ظروف الناس، وطبيعتهم الضعيفة، فيغفر ... إياهم مجرد تراب، أثارتهم الريح، فتحولوا إلى غار في الجو. يصبر عليهم بعض الوقت، حتى تهدأ الريح، فيستقرون ...

الله في لطفه . يسمح لأولاده أن يعاتبوه أو يجادلوه . وقد يشتدون في كلامهم ، فلا يغضب . وإنما بكل لطف يعطيهم فرصة للتعبير عما في داخلهم بكل حرية .

ما أعجب أن يقول له ابراهيم أبو الآباء في شفاعته عن سادوم : "أديان الأرض كلها لا يصنع عدلاً؟! حاشا لك يارب أن تفعل هذا الأمر : أن تميمت البار مع الأثيم . فيكون البار كالأثيم! حاشا لك" (تك ١٨: ٢٥) ... ثم يبدأ التفاوض . إن وُجد في المدينة خمسون باراً.. إن وجد ٤٥.. إن وجد أربعون .. حتى وصل التفاهم إن وُجد عشرة ابرار، لا يهلك الله المدينة من أجل العشرة (تك ١٨: ٢٦ - ٣٢) .. كل هذا والرب في لطف شديد يتلقى مفاوضة ابراهيم، ويفسح له المجال إلى آخر حد، حتى توقف ... نفس اللطف في تشفع موسى إلى الله لأجل الشعب .

كانوا قد عبدوا العجل الذهبي الذي صنعوه ، بعد كل المعجزات التي رأوها من الرب في مصر وفي البرية .. وغضب عليهم الرب حتى أراد أن يفتنيهم . وهنا تدخل موسى ليشفع فيهم . فقال للرب : لماذا يارب يحمي غضبك على شعبك؟! لماذا يقولون أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم على وجه الأرض. أرجع عن حمو غضبك واسد على الشر (خر ٣٢: ١١، ١٢) . ويسمع الرب هذا الكلام ، ولا يتضايق بل يغفو ...

وارميا النبي يقول : أبر أنت يارب من أن أخاصمك . ولكنى اكلمك من جهة أحكامك . لماذا تتجح طريق الأشرار . إطمأن كل الغادرين غدرأ (أر ١٢ : ١) .

لم يقل الله : من هو هذا التراب ، حتى يكلمنى من جهة أحكامى؟! بل كيف يسب إلى جاح طرق الأشرار ، أو حتى السكوت على ذلك!! .. إما استمع له فى لطف وأراحه ...

ظهر لطف الله أيضاً فى معاملة يونان النبي .

لم يرفضه بسبب عصيانه له ، بل اقتاده إلى الطاعة بحكمة ، وانقذه من بطن الحوت ، وأعادته إلى رسالته فى أنذار نينوى . ولما تابت نينوى ولم يعاقبها الله "وغم ذلك يونان غماً شديداً فاغتاظ" وطلب لنفسه الموت ... عاقبه الله بلطف قائلاً "هل اعتطت بالصواب؟!" (يوس ٤ : ١ ، ٤) . واجتنبه بما حدث لليقظية وشرح له لماذا قل توبة نينوى .

حقاً إنه بالعنف قد يخسر الشخص أعباءه ، بينما باللطف يكسب أعداءه .

هنا وأقول إن للطف حدوداً . فإن لم يوصل إلى هدفه تبدأ العقوبة .

وهكذا يقول الرسول "هوذا لطف الله وصرامته . أم الصرامة فعلى الدين سقطوا . أما اللطف فلك ، إن ثبت فى اللطف . وإلا فأنت أيضاً سسقطع " (رو ١١ : ٢٢) . وفى هذا المجال نذكر مثل تلك الشجرة التى لم تعط ثمرأ على مدى ثلاث سنوات وهى تبطل الأرض . فلم أراد الكرام قطعها ، قال صاحب الكرم فى لطف "أتركها هذه السنة أيضاً ، حتى أنقب حولها وأصع زبلاً . فإن صبحت ثمرأ ، وإلا ففيم بعد نقطعها" (لو ١٣ : ٦ - ٩) .

اللطف فى تركها هذه السنة أيضاً" والصرامة هى فى قوبه "وإلا ففيم بعد نقطعها" .





مِنْ ثَمَرِ الرُّوحِ

٦

الصَّالِحِ

نتابع حديثنا عن ثمر الروح كما ورد فى (غل: ٥: ٢٢، ٢٣) .

فنتحدث عن الصلاح . ولكن كيف يمكن أن يتصف إنسان بالصلاح، بينما يقول الكتاب "ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله" (مت: ١٩: ١٧) ؟
المقصود طبعاً هو الصلاح النسبى ، وليس الصلاح المطلق الذى هو من صفات الله وحده .

والمقصود بالصلاح النسبى ، أية نسبة لمدى عمل الروح القدس فى الإنسان، ومدى إستجابة الإنسان لعمل الروح وشركته مع الروح القدس . تماماً مثلما نفسر قول الرب "كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل" (مت: ٥: ٤٨) بأن المقصود هو الكمال النسبى ، لأن الكمال المطلق هو من صفات الله وحده ...

وحينما نتكلم عن الصلاح ، نذكر أنه على نوعين : صلاح سلبي، وصلاح إيجابى .
الصلاح السلبي هو البعد عن الخطايا، وتمثله غالبية الوصايا العشر، مثل : لا تكن لك آلهة أخرى أمامى . لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً .. لا تتطوق باسم الرب إلهك باطلاً .. لا تقتل . لا تزنى . لا تسرق . لا تشته مال قريبك ...

أما الصلاح الإيجابى ، فتمثله التطويبات فى العهد الجديد: طوبى للمساكين بالروح، للودعاء، لأنقياء القلب، لصانعى السلام، للرحماء . ويمثله فى العهد القديم : "تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك" (تث: ٦: ٥) . وتمثله أيضاً ثمار الروح التى نتحدث عنها .

والمطلوب من الإنسان أن يسلك فى الأمرين معاً : البعد عن كل أنواع الخطايا من الناحية السلبية، والسلوك فى كل الفضائل إيجابياً .

الإنسان الذى يصل إلى كمال الصلاح ، يشمئز من الخطية وينفر منها فإن قل

صلاحه، يكون بينه وبين الخطيئة أخذ ورد. أما إن فقد صلاحه ، فإنه يلتذ بالخطيئة ويستسلم لها، بل قد يسعى إليها ...

إذن لكي يحيا الإنسان في حياة الصلاح ، ينبغي أن يصل إلى المرحلة التي ينفر فيها من الخطيئة. كما قال يوسف الصديق "كيف أعمل هذا الشر العظيم، وأعطى إلى الله؟!" (تك ٣٩: ٩). ويعبر عن هذا أيضاً قول القديس يوحنا الرسول في رسالته الأولى إن المولود من الله لا يستطيع أن يخطئ (١يو ٣: ٩) .

وفعلاً ، هناك أشياء لا يستطيع الإنسان الروحي أن يفعلها .. لا يستطيع أن يلفظ كلمة بايئة بديئة، لا يستطيع أن يكذب، بل إنه يحتقر نفسه إن فعل ذلك. لا يستطيع أن يقوم بأى عمل غير مهذب... وبالتالي كلما نما في الصلاح يجد أنه عموماً لا يستطيع أن يخطئ... هناك عيب من جهة السلوك في الصلاح أن يحكم الإنسان على بعض الخطايا بأنها خطايا بسيطة!! فيتساهل معها!!

الخطيئة هي الخطيئة سواء حكم عليها الشخص بأنها بسيطة أو كبيرة. وهكذا يقول الرب : من قال لأخيه يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم (مت ٥: ٢٢) . وهكذا في باقى خطايا اللسان، يقول "بكلامك تتبرر، وبكلامك تدان" (مت ١٢: ٣٧) .

حقاً ، إنه توجد خطيئة أشنع من خطيئة . ولكن كلاً منها تتنافى مع الصلاح. فالإنسان الصالح لا يرتكب هذه ولا تلك . فالرسول يأمرنا أن سلك بتدقيق (أف ٥: ١٥) .

ما معنى أن الصلاح من ثمر الروح ؟

له بلا شك معنى مزدوج . فهو من ثمر عمل الروح القدس في قلب الإنسان . وثمر ثمر روح الإنسان في إستجابتها لعمل الروح القدس فيها . أو هو ثمر لشركة الروح القدس، أى لمشاركة روح الإنسان لروح الله القدوس ، في الرعية وفي العمل ...

ماذا إذن عن صراع الإنسان مع الخطيئة ؟

هل نقول عن مثل هذا الإنسان إنه صالح ؟ إن القديس بولس الرسول يدعو إلى هذا الصراع، ويسميه جهاداً . فيلوم العبرانيين قائلاً "لم تقاوموا بعد حتى الدم، مجاهدين ضد الخطيئة" (عب ١٢: ٤) . إذن فالصراع ضد الخطيئة أمر صالح يقود إلى الصلاح ، حينما ينتصر الإنسان على الخطيئة ، ويصل إلى محبة الخير التي لا تحتاج إلى صراع ...

على أننا ينبغي أن نفرق بين نوعين من الصراع :

صراع ضد خطية تحاربه من الحارح . وهذا يحدث للقديسين من حسد الشيطان وحروبه . وهو صراع لا يتنافى مع الصلاح . بل أنه يدل على صلاح الإنسان . وعدم قبوله للخطية التي تحاربه . المهم أنه لا يستسلم ، بل يقاوم حتى الدم مجاهداً ضد الخطية . النوع الثاني من الصراع أن يصارع الإنسان ضد خطية تأتيه من داخله ، من قلبه ، من فكره ، من مشاعره وهذا يدل على أن الداخل لم يصل إلى النقاوة بعد . لم يصل إلى الصلاح بعد ، بل يجاهد لكي يصل إليه . إنه صراع صالح . من قلب يريد أن يكون صالحاً .

الخطية بشعة ، الأبرار يشتمزون منها . لذلك يحرس الخاطئ من ارتكابها أمام الصالحين . بل يرتكبها في الظلام ، في الحفاء .

فإن كان الصالحون يشتمزون من الخطية ، فكم بالأكثر الملائكة !

لذلك حين ترتكب الخطية ، كأنما تطرد الملائكة من حولك ، أو على الأقل الملاك الحارس ، الذي في مجلس المستهزين لا يجلس . إنه يحاول أن يصدك عن الخطية ، فإن اصررت عليها ، يتعد عليك . وحينئذ يفرد بك عدو الخير . فإن كانت الخطية بشعة هكذا أمام الأبرار وأمام الملائكة ، فكم بالأكثر تكون بشعة أمام الله الكلي القداسة !!

لذلك من بشاعة الخطية ، إننا نرتكبها أمام الله .

وهكذا يقول داود النبي في المزمور الخمسين مزمور التوبة : يقول لله "إليك وحدك أخطأت ، والشر قد امك صنعت . دن فهي ليست فقط خذلية أمام الله ، إنما بالأكثر خطية إلى الله .. خطية نحر بها روح الله القدوس (أف ٤ : ٣٠) . ولأنها خطية ضد الله ، لذلك قال يوسف الصديق كيف اعل هذا الشر العظيم ، وأخطئ إلى الله" (تك ٣٩ : ٩) .

إذن فالإنسان الصالح يذفر من الخطية ، لأنه يوقن أنه بها يخطئ إلى الله ، ويخطئ قدام الله ، ويحزن روح الله ..

قطعاً إن الإنسان - شاء ارتكبه للخطية - يكون قد عسى أنه أمام الله ، الذي يراه وهو يرتكب الخطية . لذلك في داود النبي قال لرب عز أمثال هؤلاء الخطاة "لم يجعلوا لله ميمهم (مر ٥٤ : ٣) . هؤلاء صنعوا شر أمام الله ولم يسلوا ، أو أنهم لم يسبقوا أن جعلوا لله ميمهم .

ما ليس نصالح . في الله أمامه باستمرار ، يحشي أن يخطئ قدامه . ما أعرق قول

إيليا النسي "حيّ هو رب الجبود الذي أنا واقف قدامه" (أمل ١٨ : ١٥) .

لذلك فالذي يقول "اعترف بخطاياي أمام الله مباشرة" ! قد نسي أنه ارتكب تلك الخطايا أمام الله ولم يحجل ! فالأفضل له الإعراف بها أمام الكاهن ، لكي يخجل منه فلا يعود إلى ارتكابها ...

هناك أناس يفقدون صلاحهم ، لأنهم يستغلون طيبة الله بطريقة خاطئة .

إن طيبة الله ، ينبغي أن يُوضع أمامها صلاح الله وقداسته ، ودعوته لنا إلى حياة القداسة والبر . بل ينبغي أن يتذكر هؤلاء قول الرسول "أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة ! ولكنك من أجل مساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب . " (رو ٢ : ٤ ، ٥) .

* * *

إن الله من أجل محبته للصلاح، وقيادتنا إلى الصلاح، وضع أمامنا إمكانيات كثيرة تقودنا إلى الصلاح، منها :

★ أولاً خلقنا على صورته ومثاله ، في البر والصلاح ، في العقل والفهم والحكمة .. ولما فقدنا بالخطية هذه الصورة الإلهية، قدمها لنا في شخص الرب يسوع المسيح "الذي هو صورة الله غير المنظور" (كو ١ : ١٥) ، لكي يقدم لنا القدوة المثلى في الصلاح. حتى كما سلك ذلك، ينبغي أن نسلك نحن أيضاً (يو ١ : ٦) .

طبعاً العمل الأساسي للتجسد الإلهي هو الفداء ، ولكن من الأغراض الإضافية تقديم الصورة الإلهية والقدوة المثالية للإنسان .

★ أيضاً لما فُسدت طبيعتنا البشرية، قدم لنا تجديداً في المعمودية .

فيها يُصَلَّب الإنسان العتيق ، ويقوم إنسان جديد على صورة الله ، لكيما نسلك في جدة الحياة (رو ٦ : ٤ ، ٦) . شخص جديد يخرج من جرن المعمودية مولوداً من الماء والروح. وما أجمل وأعمق قول القديس بولس الرسول في هذا "لأن جميعكم الذين إعتدتم للمسيح، قد لبستم المسيح" (عل ٣ : ١٧) أي لبستم البر الذي في المسيح .

كل هذا يقدمه لنا، لكي نستطيع أن نسلك في الصلاح .

★ أيضاً لنسلك في الصلاح ، جعلنا هياكل لروحه القدس :

وهكذا قال الكتاب "أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم" (١كو ٣ : ١٦) . تنال هذا بالمسحة المقدسة في سر الميزور . فيحل روح الله في داخلك. ويكرر الرسول

نفس المعنى فى نفس الرسالة فيقول "ألم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم، الذى لكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم" (١كو٦: ١٩) .

هذا الروح القدس الذى فيك "يكنك على خطية .. ويرشدك إلى جميع الحق" (يو١٦: ٨، ١٣) . ويعلمك كل شئ ، ويذكرك بكل ما قاله الرب (يو١٤: ٢٦) . وهكذا يساعدك على عمل الخير ، ويقودك إلى حياة الصلاح . وماذا أيضاً ؟

★ ارسل الله لك نعمته ، لكي تعينك على الخير والصلاح .

وهذه النعمة ضمن البركة التى تختتم بها الكنيسة كل اجتماع . فنقول "محبة الله الأب، ونعمة ابنه الوحيد، وشركة الروح القدس، تكون مع جميعكم" (١كو١٣: ١٤) .

وبلاحظ أن كثيراً من رسائل القديس بولس الرسول تبدأ بهذه النعمة أو تنتهى بها . فيقول "نعمة لكم وسلام من الله أبينا.." (١كو١: ٣) فى بداية رسالته الأولى إلى كورنثوس. ويختتمها أيضاً بعبارة "نعمة الرب يسوع المسيح معكم" (١كو١٦: ٢٣) ... وهكذا فى باقى الرسائل ...

هذه النعمة لا تفقدك فقط إلى صلاح نفسك ، وإنما تساعد أيضاً فى الخدمة لأجل صلاح الآخرين .

وهكذا يقول القديس بولس الرسول "ولكن بنعمة الله، أنا ما أنا. ونعمته المعطاة لى لم تكن باطلة. بل أنا تعبت أكثر من جميعهم. ولكن لا أنا، بل نعمة الله التى معى" (١كو١٥: ١٠) .

فلا تنس كل هذه الإمكانيات ، وتقول طريق الصلاح صعب .

حقاً إن الباب الموصل إلى الملكوت هو باب صيق (مت٧: ١٤) "وبصيقات كثيرة ينبغي أن تدخل ملكوت الله" (أع١٤: ٢٢) . ولكن نعمة الله قادرة أن توصلنا إلى كمال الحياة مع الله. كما قال القديس بولس الرسول إلى رعاة كنيسة أفسس "والآن استودعكم بأخوتى لله ولكلمة نعمته القادرة أن تبنيكم وتعطيكم ميراثاً مع جميع القديسين" (أع٢٠: ٣٢) .

★ الرب يسوع المسيح نفسه معنا، يعيننا فى طريقه .

إنه يقول "ها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر (مت٢٨: ٢٠) . وما دام يقول بنونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً" (يو١٥: ٥) . إذن اطبب منه القوة لكي تكون إنساناً

صالحاً. قل له: "توبنى فأتوب" (أر ٣١: ١٨). ألم يقل: اطلبوا تجدوا. اقرعوا يفتح لكم" (مت ٧: ٧).

★ أيضاً من أجل قيادتنا إلى الصلاح، أوجد الله فينا الضمير .

الضمير صوت من الله فينا: يحكم ويشرع ، ويوضح ويؤنب، ويقود إلى الخير ، ويمنعنا من الخطأ. وإن استار الضمير بالروح القدس الذى فيك، فإنه يكون مرشداً قوياً إلى الصلاح، ورادعاً عن الشر . هذا إذا أطاع الإنسان ضميره ...
ومن أجل الصلاح أيضاً ، اعطانا الرب الوصايا .

هذه التى يقول عنها داود النبى "وصية الرب مضيئة، تنير العيين عن بعد" (مز ١٩)
وتصير الجاهل حكيماً" وأيضاً "سراح لرجلى كلامك، ونور لسبيلي" (مز ١١٩: ١٠٥) .
فالذى يحرص على أن يسلك فى طريق الصلاح، عليه أن يتمسك بكلمة الله التى تهديه.
كما قال الله ليشوع بن نور "لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك. بل تلهج فيها نهاراً
وليلاً، لكى تتحفظ للعمل بكل ما هو مكتوب فيه. لأنك حينئذ تصلح طريقك . وحينئذ تفلح" (يش ١: ٨) .

وهكذا يقول الرسول "لأن كل الكتاب موحى به من الله، وبافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم
والتأديب الذى فى البر . لكى يكون إنسان الله كاملاً، متأهلاً لكل عمل صالح" (٢تى ٣: ١٦، ١٧) .

★ ومن أجل الصلاح، أرسل لنا الله الأنبياء والرعاة والمرشدين .

أرسل لنا الرسل، وأعطاهم خدمة المصالحة، لكى يبادوا أن اصطلحوا مع الله
(٢كو ٥: ١٨، ٢٠). وقال لنا "أطيعوا مرشديكم واحضعوا ، لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم"
(عب ١٣: ١٧). وأعطانا الله الآباء الروحيين، الرعاة الكهنة. كل هؤلاء لقيادتنا إلى
الصلاح ...

★ ومن أجل أن نشأتق إلى هذا الصلاح، قدم لنا وعوداً جميلة .

"من يغلب فسأعطيهِ أن يأكل من شجرة الحياة" "أن يأكل من المن المحفى "من يغلب
فسأعطيهِ إسمًا حديدًا" "ويلبس ثياباً بيضاء" "ويجلس معى فى عرشى، كما علت أب
وجلس مع أبى فى عرشه" (زؤ ٢، ٣). وأيضاً وعدت به، لم يره عين، ولم نسمع به أذن،
ولم يحطر على قلب بشر" (١كو ٢: ٩) .

★ فإن لم ينفع معنا كل ما ذكرناه، أوجد الله العقوبة .

ذلك لأن هالك بوعاً من الس لا يقودهم إلى الصلاح، إلا الخوف. على الأقل في بداية الطريق. كما قيل "دء الحكمة محافة الله" (أم ٩: ١٠) . وكما قال الرسول "ارحموا العصم مميرين. وحلصوا البعض بالحواف، محتطفين من النار .." (يه ٢٢، ٢٣) .

والعقوبة موحودة من ساء خلق الإنسان ، مند حطينة ادم وحواء (تك ٣) . وله أمثلة كثيرة في العهد القديم. وفي العهد الحدي أيضاً مثلاً حدث في حطية حنانيا وسفيرا الذي قيل بعد معرفتهم فصار خوف على جميع الكنيسة وعلى جميع الذين سمعوا بذلك" (أع ٥: ١١) . ومثل معافية بولس الرسول لحطى كورنثوس (١كو ٥: ٥) . ليس إنتقاماً وإنما لكي تحلص الروح في يوم الرب" .

نشكر الله أنه لم يأخذنا ، ونحن في ساعة غفلة، في خطايانا .

وإما سمح أن حيا حتى هذه اللحظة ، معطياً لنا فرصة حتى نتوب وسلك في حياة صالحة كم يسعى، ولا نفع تحت دينونة .. هوذا الرسول يقول "لا دينونة على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الحسد، بل حسب الروح" (رو ٨: ١) . والسلوك حسب الروح هو الصلاح. أما السلوك حسب الحسد فهو الفساد. لذلك يقول الرسول أيضاً: الذي يزرعه الإنسان ، إياه يحصد أيضاً . لأن من يزرع لجسده، فمن الجسد يحصد فساداً. ومن يزرع للروح، فمن الروح يحصد حياة أبدية" (غل ٦: ٧، ٨) .

هذا هو إد ثمر الروح : صلاح هنا . وحية أبدية في العالم الآخر . لأن ملكوت السموات لا يدخله إلا الصالحون . أورشليم السمائية لن يدخلها دنس ولا رحس (زؤ ٢١: ٢٧) .





مِنْ شَمْرِ الدَّوْحِ

٧

الْإِيمَانِ

الذى يحيا حياة روحية ، لابد أن يتصف بالإيمان ..
فقد ورد فى الكتاب أن من ثمر الروح : الإيمان (غل ٥: ٢٢) . وكما ذكر الإيمان
أيضاً ضمن مواهب الروح القدس (١كو ١٢: ٩) .
ولسنا نقصد هنا الإيمان بمعناه السطحى أو النظرى .

فالإيمان بمعناه الروحى يشمل الحياة كلها ، كما سنرى .. هذا هو الإيمان العملى . أما
الإيمان النظرى ، فيشبه إيمان الشياطين ، كما قيل "أنت تؤمن أن الله واحد، حسناً تفعل.
والشياطين يؤمنون ويقشعرون" (يع ٢: ١٩) . يؤمنون بوجود الله ، ويقاومونه . ولهذا
فإنهم يقشعرون منه ...

هناك إيمان فى العقيدة ، وإيمان فى ممارسات الحياة العملية ...
أشخاص يظنون أنهم مؤمنون ، لمجرد أنهم يتلون قانون الإيمان فى الكنيسة. وقد
تكون حياتهم بعيدة كل البعد عن الإيمان !! إنما الإيمان الحقيقى ، هو الذى يظهر
واضحاً فى حياتنا العملية، فى ممارستنا ، فى علاقتنا بالله والناس ...
هذا هو الإيمان العملى ...

فالإنسان يظهر إيمانه فى أعماله . كما يقول الكتاب "وأنا أريك بأعمالى إيمانى" (يع ٢: ١٨) .
ولذلك قيل فى الكتاب أكثر من مرة "الإيمان بدون أعمال ميت" (يع ٢: ١٧ ، ٢٠) .
المطلوب إذن هو الإيمان الحى المثمر :

إن كان إيمانك حياً، فلا بد أن تظهر ثماره فى حياتك . "لأن كل شجرة لا تصنع ثمراً
جيداً، تُقطع وتلقى فى النار" (لو ٣: ٩). وهكذا يقول الرسول "لا الختان ينفع شيئاً ولا
الغرة ، بل الإيمان العامل بالمحبة" (غل ٥: ٦) . والمحبة عبارة عن برنامج روحى
طويل، يضم فضائل عديدة ذكرها فى (١كو ١٣) .

فكيف يظهر الإيمان وثمره فى حياتنا العملية ؟

هذا موضوع طويل ، يدخل فى تفاصيل تفاصيل حياتنا حتى يشمل حياتنا كلها . وكيف ذلك ؟ هذا ما نود الآن شرحه ، سواء من جهة مشاعر قلوبنا ، أو من جهة علاقاتنا مع الله والناس . ولنضرب لذلك أمثلة :

★ إن كنت تؤمن أن الله فى كل مكان ويراك ويسمعك، لا يمكن أن تخطئ .

لأنك سوف تستحى وتحجل من الله الذى يراك وأنت فى حالة الخطية . بل تستحى أيضاً من الملائكة الذين يرونك ومن أرواح القديسين، كما تستحى أن تفعل الخطية أمام البشر الذين يرونك على الأرض .. فعدم خجلك يدل على أن إيمانك بوجود الله ورؤيته لك أثناء الخطية، هو إيمان ضعيف ، أو غير موجود ...

عكس ذلك يوسف الصديق الذى رفض أن يحطى قاذلاً : كيف أفعَل هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله؟! (تك ٣٩ : ٩) .

★ أيضاً الذى يؤمن بالله ورعايته وقوته العاملة ، لا يخاف فالخوف هو دليل على ضعف الإيمان ...

لذلك فإن بطرس الرسول ، لما حاف من الأمواج ووقع فى الماء، قال له الرب " يا قليل الإيمان ، لماذا شككت " (مت ١٤ : ٣١) .

وجيحزى كان خائفاً من قوات العدو المحيطة بالمدينة . أما معلمنا أليشع النبى فكان يرى أجناد الرب التى تدافع عنها، لذلك صلى من أجله قائلاً "افتح يارب عينى العلام فىرى.." (٢مل ٦ : ١٧) . نعم، بالإيمان يرى، وليس فقط بالعيان .. فيطمئن أن الذين معنا أكثر من الذين علينا ...

هذا الإيمان الذى لا يخاف ، قال عنه داود النبى فى مزمور الراعى "إن سرت فى وادى ظل الموت، لا أخاف شراً، لأنك أنت معى" (مز ١٢٣ : ١) . وقال فى مزمور آخر "تقدمت فرأيت الرب أمامى فى كل حين، لأنه عن يمينى فلا أترعرع" (مز ١٦ : ٨) . نعم ، إن آمنتم أن الرب معكم فلن تخاف .

وإن آمنتم أنه أمامكم فى كل حين وأنه عن يمينك ، فلا تترعرع. بل تقول مع المزمور "إن يحاربنى جيش، فلن يحاف قلبى. وإن قام على قتال، ففى ذلك أنا مطمئن" (مز ٢٧ : ٣) .

إن كثيرين - لعدم إيمانهم ليسوا فقط يحافون ، بل يصل بهم القلق والإضطراب إلى حد اليأس .

★ أما المؤمن فإنه يثق أن قوة الله معه ، ويثق بقول الكتاب :

"كل شيء مستطاع للمؤمن" (مر ٩ : ٢٤) .

حقاً إن هذه عبارة عجيبة ومعزية . أننا نؤمن أن الله هو الذى "يستطيع كل شيء ولا يعسرر عليه أمر" (أى ٤٢ : ١) . أما إن كل شيء مستطاع للمؤمن ، فهذا أمر عميق ومدهل ، يعطينا فكرة عن قوة الإيمان وفاعليته ، ويذكرنا بقول القديس بولس الرسول :

"أستطيع كل شيء ، فى المسيح الذى يقوينى" (فى ٤ : ١٣) .

إن الإيمان هو قوة . وهو يقوى الإنسان باستمرار ، فلا يخاف ولا يضطرب ولا يقلق ولا ييأس . ومصدر قوته هو الله الذى يقويه . لذلك يقول المرتل فى المزمور "قوتى وتسحتى هو الرب ، وقد صار لى خلاصاً" (مر ١١٧ : ١٤) .

★ ولهذا فإن الإيمان يصحبه السلام أيضاً : السلام الداخلى والسلام مع الله .

وهكذا يقول الرسول "إذ قد تبررنا بالإيمان ، لنا سلام مع الله" (رو ٥ : ١) . لنا سلام مع الله ، إذ نؤمن أن الرب قد حمل كل خطايانا على الصليب ، وأنا "متبررون الآن بدمه" "وقد صولحنا مع الله بموت ابنه" (رو ٥ : ٩ ، ١٠) . لأن "الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه ، غير حاسب لهم خطاياهم" (٢كو ٥ : ١٩) .

★ وبهذا الإيمان وهذا السلام ، يكون لنا الفرح .

لذلك فالمؤمنون دائماً فرحون .. فرحون لأنهم يؤمنون برعاية الرب لهم ، ولأنهم يؤمنون أن هذا الله الذى يرعاهم هو قادر على كل شيء ، وأنه أب حنون : فى احتياجهم يعطى ، وفى توبتهم يعفر ، وفى حمايتهم يقدر ويخلص .. حتى إن أصابتهم ضيقة ، وبدأ من الحارح أنهم فى كرب ، يقولون مع الرسول "كحزانو ، ونحن دائماً فرحون" (٢كو ٦ : ١٠) . وهكذا يقول الرسول لهؤلاء المؤمنين "افرحوا فى الرب كل حين ، وأقول أيضاً افرحوا" (فى ٤ : ٤) .

ألا يبدو أن ثمار الروح مترابطة ، الفرح والسلام والإيمان ..

★ إن الإيمان ضد الشك . فالمؤمن لا يشك .

والشك يدل على ضعف الإيمان . والرب قد ربط بين الأمرين حينما قال للقديس

بطرس "يا قليل الإيمان ، لماذا شككت؟" (مت ١٤ : ٣١) .

ما أكثر ما يقع البعض في الشك ، لصعف إيمانهم !! قد يصلّون ، ويخيل إليهم أن الله لم يستجب صلاتهم ، أو ساطأ في الإستحالة ... فشكون . وقد يدركهم الشك في محبة الله وفي رحمته ، إن وقعوا في صيقة ، أو في مرض أو في مشكلة أو إن مات أحد الديس يحبونه!

وقد يقع إنسان في شك من جهة العقيدة ، إن قرأ كتاباً أو مقالاً صد الإيمان ، وكان هو ضعيفاً في إيمانه !

لذلك فالإيمان الحقيقي ، هو إيمان ثابت لا يتزعزع .

إيمان في كل وقت ، وفي كل حين ، مهما كانت الظروف ، ومهما صادفته الصيقات أو المتاعب .. أنظروا ماذا يقول الرسول المحتسب : "كونوا راسخين غير مترعرين ، مكثرين في عمل الرب كل حين ، عالمين أن تعبكم ليس باطلاً في الرب" (١كو ١٥ : ٥٨) . فلنتذكر هذه العبارة ونضعها أمامنا باستمرار : كونوا راسخين غير مترعرين ... لا نؤمن فقط بالله ، إنما أيضاً بعمل الله فينا ومعنا .

نؤمن أن الله دائماً يعمل . وأنه يعمل معنا كأفراد وجماعات . يعمل مع الكنيسة ومع المجتمع ومع العالم كله . ويعمل لخيرنا . وفي ذلك نؤمن سيد الله في الأحداث . وأن "كل الأشياء تعمل معاً للخير ، للذين يحبون الله" (رو ٨ : ٢٨) . وهذا الإيمان يمنحنا سلاماً واطمئناناً .

ومع ذلك ، فالإيمان على درجات .

ليست درجة الإيمان واحدة عند كل الناس . ولا درجة الإيمان واحدة عند نفس الشخص في كافة مراحل حياته فقد يقوى حيناً ، ويضعف في حين آخر . وإيمان المبتدئين غير إيمان الكاملين . إن أبا الرجل المصروع من الشيطان ، لما سأله الرب عن إيمانه أجاب : "أؤمن يا سيد ، أعن عدم إيماني" (مر ٩ : ٢٤) .

وهناك إيمان قوى يصنع المعجزات . وإيمان كامل قال عنه الرسول "إن كان لك كل الإيمان حتى تنقل الجبال.." (١كو ١٣ : ٢٠) .. على أن الإيمان كاية فضيلة يمكن أن ينمو وأن يقوى .. إن بطرس الرسول الذي ضعف إيمانه أمام جارية أثناء محاكمة المسيح (مت ٢٦ : ٧٠) . عاد فقوى إيمانه بعد حلول الروح القدس . وقال بكل شجاعة "يبغي أن

يُطاع الله أكثر من الناس" (أع ٥: ٢٩) .

لقد عرّف الرسول الإيمان بأنه الثقة بما يُرجى، والإيقان بأمور لا تُرى" (عب ١١: ١) .
فنحن نؤمن بوجود الله، والله لا يُرى . ونؤمن أيضاً بوجود الملائكة ، ووجود الأرواح،
وكلها كائنات لا تُرى نعيونها المحددة . وهذا هو الفرق بين الإيمان والعيان .. كذلك نحن
نؤمن بالنعم غير المنظورة التي نالها من خلال أسرار الكنيسة المقدسة، وكلها أمور لا
تُرى . ومع ذلك نحن نوقر بذلك كل الإيقان .

على أن للإيمان علامات تظهره وتدل عليه .

فالمؤمن إسر عن الكبرياء والتعالى . لأن الذي يؤمن بوجود الله، لا يستطيع أن
يسلك في كبرياء أمام الله ، بل يدرك يقيناً أنه مجرد تراب ورماد (تك ١٨: ٢٧) .
ومن هنا كان خشوع المؤمن في صلاته .

وكذلك ما في الصلاة من ركوع وسجود ، وما يسميه القديسون "الزى الحسن في
الصلاة" حيث يقف وكأنه أمام عمود من نار . وهكذا نقول في القداس الإلهي "قفوا بخوف
أمام الله، واصنوا لسماع الإتحيل المقدس" "اسجدوا لله بخوف ورعدة" ...

أما الذي يقف متحاذلاً متكاسلاً في صلاته ، يلتفت أثناءها هنا وهناك، أو يسرح في
أمور عديدة ، فهذا يدل على أنه غير مؤمن أنه واقف أمام الله ...
كذلك هناك فرق بين صلاة بإيمان ، وصلاة بغير إيمان .

المؤمن يثق تماماً أن صلاته قد وصلت إلى الله، وأن الله قد سمعها وأنه سوف
يستجيب . ويؤمن أن الله لا يسهو . وهكذا يرى أن داود النبي تبدأ بعض مراميره
بالطلب، بينما تنتهي بعبارات الاستجابة . فإياه مثلاً يحتذ المرمور السادس بعبارات يقول
فيها "ابعدوا عني يا جميع فاعلي الإثم . لأن الرب قد سمع صوتي نكاثي . الرب سمع
تصرعي . الرب لصلاتي قتل" (مر ٦) .

نقط أخرى نقولها في علامات الإيمان ودلالاته :

أنت تؤمن أن الله هو الحق ، كما يقول "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو ١٤: ٦) .

فهل تؤمن بالحق مادمت تؤمن بالله؟

إن كنت تؤمن بالحق ، لأنك تؤمن بالله الذي هو الحق . فهل تسلك في الحق ، وهل
تدافع عن الحق .

إن السلوك فى الباطل هو لون من ضعف الإيمان بالله لأن البعد عن الحق هو البعد عن الله .

كذلك الذى يؤمن بأن الله هو النور (يو ٨: ١٢) . فهل تؤمن بالنور ، أم تسلك فى الظلمة؟! كيف تعيش فى الظلمة بينما أنت تؤمن بالنور؟! والرب يقول "أنا هو نور العالم . من يتبعنى ، فلا يسلك فى الظلمة" (يو ٨: ١٢) .

كذلك إن كنت تؤمن بالأبدية ، فلا بد أن تستعد لها .

ومادمت تستعد ، فلا يمكن أن تشتهى الأمور التى فى هذا العالم ، لأن "محبة العالم عداوة لله" كما يقول الكتاب (يع ٤: ٤) . "إن أحب أحد العالم ، فليست فيه محبة الأب" (١يو ٢: ١٥) . إذن فالذى يسلك فى محبة العالم وشهواته ، ليس هو مؤمناً بالحقيقة . وإلا كان متناقضاً مع نفسه .

كذلك إن كنت تؤمن بأن جسدك هو هيكل الله ، فهل من المعقول أن تتجسه وتدنسه؟! يقول الرسول "أما تعلمون أنكم هيكل الله ، وروح الله يسكن فيكم . إن كان أحد يفسد هيكل الله ، فسيفسده الله ، لأن هيكل الله مقدس ، الذى هو أنتم" (١كو ٣: ١٦ ، ١٧) ويقول أيضاً "ألم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم ، الذى لكم من الله ، وأنكم لستم لأنفسكم" (١كو ٦: ١٩) .

إذن فالذى يفسد جسده ، لا يؤمن أن جسده هو هيكل الله . ولا يؤمن أن الروح القدس ساكن فيه . وبعبارة المنطق من يفسد جسد مؤمنة هى أيضاً هيكل للروح القدس . من هنا نرى أن كلمة الإيمان لها معنى كبير واسع يشمل الحياة كلها . ولهذا يقول الرسول :

"اختبروا أنفسكم هل أنتم فى الإيمان . امتحنوا أنفسكم" (٢كو ١٣: ٥) .

ومن الوسائل التى يُختبر بها الإيمان الضيقة :

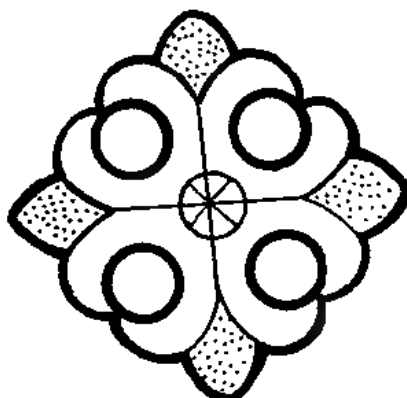
فهناك أشخاص يضعف إيمانهم أو يصيب فى الضيقة . بينما غيرهم يثبتون فى الإيمان على الرغم من الضيقات . مثال ذلك القديسون الشهداء والمعتزفون الذين تعرضوا لكل ألوان التعذيب ولكنهم ثبتوا فى إيمانهم ، وتعرضوا للإيذاء وللتهديد وطلوا ثابتن فى إيمانهم .

وكما يختبر الإيمان فى الضيقة ، كذلك يختبر بالشكوك .

فالذين وضعوا أرجلهم فى البحر الأحمر وعبروا ، ما كان عندهم شك ، بينما المياه والأمواج كانت تحيطهم من الجانبين (خر ١٤) .

الإيمان القوى ينتصر على كل الشكوك التى تحاربه . وهكذا فإن الكنيسة القوية اجتازت فترات الهرطقات الشديدة خلال القرنين الرابع والخامس للميلاد . فحرمت الهرطقات وحرجت منها بإيمان سليم .

مرحوا من الرب أن يثبتا فى الإيمان الذى يبع من أرواح قوية ، تنتصر فى كل حروب الإيمان .





مِنْ ثَمَرِ الرُّوحِ

٨

الْوَدَاعَةُ

تطويب الوداعة

★ أجمل الوداعة . إنها من ثمار الروح (غل: ٥: ٢٣) . وقد جعلها الرب فى مقدمة التطويبات ، فقال :

"طوبى للودعاء ، لأنهم يرثون الأرض " (مت: ٥: ٥) .

وقد فسر بعض الآباء عبارة "يرثون الأرض" هنا ، بأن المقصود بها أرض الأحياء ، كما ورد فى المزمور "وأنا أؤمر أن أعين خيرات الرب فى أرض الأحياء" (مز ٢٧: ١٣) .. كما أنه يمكن أن يضاف إلى ذلك أرضنا الحالية . لأن الشخص الوديع يكون غالباً محبوباً من الجميع على هذه الأرض أيضاً . فيكسب الأرض هنا ، وأرض الأحياء هناك .

★ ومن أهمية الوداعة ، أن الرب دعانا أن نتعلمها منه ، فقال :

تعلموا منى ، لأنى وديع ومتواضع القلب" (مت ١١: ٢٩) .

كان يمكن أن يدعونا لأن نتعلم منه الكرازة والتعظيم والخدمة ، والحب ، الرحمة ، والحكمة فى التصرف .. بل كل فضيلة وكمال ، إذ تتضمن فيه كل الكمالات والفضائل . ولكنه ركز على الوداعة والتواضع ، وقال لمن يتعلمونها "فتجدون راحة لنفوسكم" . ألا يدل هذا على أهمية خاصة للوداعة فى حياة الناس ؟ ..

ومن أهمية الوداعة ، أن الكنيسة تضعها أمامنا فى بدء صلوات النهار .

فتضع أمامنا فى بدء صلوات باكر ، فى مقدمتها قبل المزامير ، جزءاً من رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل أفسس ، يقول فيها "أطنب إليكم أنا الأسير فى الرب ، أن تسلكوا كما يليق بالدعوة التى دُعيتُم إليها: بكل تواضع القلب والوداعة وطول الأناة ، محتملين بعضكم بعضاً بالمحبة.." (أف: ٤: ١ ، ٢) . إذن هى فى مقدمة السلوك الروحي المسيحى .

ومن النصين السابقين نرى ارتباط الوداعة بالتواضع .

★ وقد اهتم الآباء الرسل بالحديث عن الوداعة في المعاملات :

فقال القديس بولس الرسول "أيها الأحوة، إن اتسقى إنسان فأخذ في زلة، فاصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة، ناطراً إلى نفسك لتلا تجرب أنت أيضاً.." (غل ٦: ١)
وقال القديس يعقوب الرسول "من هو حكيم وعالم بينكم، فليبر أعماله بالتصرف الحسن في وداعة الحكمة.. (يع ٣: ١٣) . وشرح كيف أن هذه الوداعة الحكيمة تكون بعيدة عن التحريف والتشويش، وعن الغيرة المرة وكل أمر ردي .

والقديس بطرس الرسول عندما تحدث عن الزينة، ذكر "زينة الروح الوديع الذى هو قدام الله كثير الثمن" (١بط ٣: ٤) .

وقال القديس بطرس أيضاً "مستعدين في كل حين، لإجابة كل من يسألكم عن سر الرجاء الذى فيكم، بوداعة وخوف" (١بط ٣: ١٥) .

★ وقد كانت الوداعة هي سمة المسيحيين منذ البدء .

حتى أنه كما قيل عن تاريخ الكنيسة في العصر الرسولي في القرن الأول : إنه حينما كان أحد الوثنيين يقابل زميلاً له ، ويجده وديعاً بشوشاً هادئاً، يقول له "لعلك قابلت مسيحياً في الطريق" . ويقصد بذلك إن لقاءه مع أحد المسيحيين في وداعته ، كان بالتأثير يطبع الوداعة على وجهه .

★ ولعل من أهمية الوداعة ، مدح الكتاب للودعاء :

حيث يقال في المزمير "يسمع الودعاء فيفرحون" (مز ٣٤: ٢) . وأيضاً "أما الودعاء فيفرثون الأرض، ويتلذذون في كثرة السلامة" (مز ٣٧: ١١) . وقد قيل كذلك "الرب يرفع الودعاء، ويذل الخطاة إلى الأرض" (مز ١٤٧: ٦) "يذرب الودعاء في الحق، ويعلم الودعاء طرقه" (مز ٢٥: ٩) .

إن عرفنا كل هذا المديح للوداعة والودعاء ، فليتنا ندأمل معاً : ما هي الوداعة؟ وما هي صفات الشخص الوديع :

صفات الوديع

الإحسان الوديع هو الإحسان الطيب المسالم .

وكثير من الناس يستخدمون صفة (الطيب) بدلاً من صفة (الوديع) . وهو بهذا يكون

إنساناً هادئاً بعيداً عن العنف .

هو إنسان هادئ فى كل شئ .

الوديع هادئ فى طبيعه ، هادئ الأعصاب ، هادئ الألفاظ ، هادئ الملامح ، هادئ الحركات . الهدوء يشمله كله داخلياً وخارجياً . فهو هادئ فى قلبه ومشاعره ، وهو هادئ فى تعامله مع الآخرين ... هو إنسان حلیم . كما قيل عن موسى النسى "وكان الرجل موسى حلیماً جداً، أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" (عدۛۛ: ٣) .
وهدوء الوديع يكون فى صوته أيضاً .

فهو يبعد عن الصوت العالى ، وعن الصوت الحاد . لا يكون شديد الألفاظ، ولا شديد اللهجة . وقد قيل عن إلهنا لوديع ، حينما قال إيليا النسى ، أثناء هرب إيليا من الملكة الظالمة إيزابل : هت عاصفة شديدة، ولم يكر الرب فى العاصفة . ثم رلزلة ، ولم يكر الرب فى الرلزلة . ثم نار، ولم يكر الرب فى النار . ثم إذا صوت منخفض حفيف" (امل ١٩ : ١١ - ١٣)، وكان الرب يتكلم . فقال له مالك ههد يا إيليا؟

هذا الصوت المنخفض الحفيف هو بعص ما ينصف له الوديع .

★ولذلك قيل عن السيد المسيح فى وداعته :

"لا يخاصم ولا يصيح . ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته . قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفئ" (مت ١٢ : ١٩ ، ٢٠) .

هكذا يكون الوديع ، بعيداً عن الصخب والضوضاء . لا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته .. حينما يتكلم يتصف كلامه بالهدوء واللفظ، كأنما قد اختار كل ألفاظه، بكل دماثة وأدب. لا يجرح بها شعور أحد، مهما كانت صفتة . حتى إن كان أمم "فتيلة مدخنة" لا يطفئها.. ربما تمر عليها ربح فتشعلها ...
يعمل كل ذلك : لا عن ضعف ، وإنما عن لطف .

يذكرنى هذا بقصيدة : أشدتها فى الأرشيدياكون حبيب جرجس ، فى يوم الأربعاء لوفاته سنة ١٩٥١م قلت فيها :

يا فوياً ليس فى طبيعه عنف .. ووديعاً ليس فى ذاته ضعف
يا حكيماً أدب الناس وفى .. رجره حاً، وفى صوته عطف
لك أسلوب بريه طاهر .. ولسان أبصر الألفاظ عف

لم تقتل بالدم مخلوقاً ولم ... تذكر السوء إذا ما حلَّ وصِفُ

إِما بالحب والتشجيع قد ... تصلح الأعوج، والأكثر يصفو



الإنسان الوديع بعيد عن العنف وعن الغضب .

هو إنسان هادئ ، لا يشور ولا يُثار . لا يعصب بسرعة ولا سطاء . ولا يفعل الانفعالات الشديدة ، ولا تغله الرفرة (العصية) ، لأنه مستمرار هادئ ، في أعصابه وفي ملامحه ، التي تتصف بالطيبة والبشاشة . إبه لا ينقم لنفسه . ولا يحل مشاكله بالعنف . بل إن أساء أحد إليه ، يقاتل ذلك بالإحتمال والصر .

انظروا كيف قيل عن السيد المسيح أثناء محاكمته وقيادته للصلب : كشاة تُساق إلى الدبح، وكسحة صامئة أمام جاريها . فلم يفتح ده" (أش ٥٣ : ٧) . وكما قال بولس الرسول عن نفسه وعن زملائه في الخدمة . نُشتم فبارك . نُضطهد فنحتمل . يعترى علينا فنعط" (١كو ٤ : ١٢ ، ١٣) .

الإنسان الوديع لا يقيم نفسه رقيقاً على الناس .

لا يقيم نفسه قاضياً ، ولا يتدخل في أعمال غيره . لا يعطى نفسه سلطة مراقبة الآخرين والحكم على أعمالهم . لا يدين أحداً ، ولا يحكم على أحد . وإن اضطرتّه الضرورة إلى الحكم ، لا يفسو في أحكامه .

وقد يغلبه الحياء ، فلا يرفع بصره ليملاً عينيه من وجه إنسان .

لا يفحص ملامح شخص ، ليحكم منها على مشاعره ماذا تكون .. أو ما مدى صدقه في كلامه . إن حورب بذلك يقول لنفسه "وأنا مالى . خلىنى فى حالى" . هو بطبيعته الوديع لا يميل إلى فحص أعمال الناس .

وإن تدخل في الإصلاح ، يصلح بهدوء ووداعة ورقة .

حسبما قال الرسول .. اصلحوا أنتم الروحانيين مثل ،دا" (غل ٦ : ١) .

★ وهكذا فعل السيد المسيح فى وداعته مع المرأة السامرية (يو ٤) .

لم يجرح شعورها بكلمة واحدة ، ولم ييكتها . بل اجتذبها إلى الإعتراف فى وداعة ولطف . ووجد فيها شيئاً يمتدحه "حسناً قلت إنه ليس لك زوج .. هذا قلت بالصدق" (يو ٤ : ١٧ ، ١٨) . وبهذه الوداعة أمكنه أن يجتذبها إلى التوبة ، وإلى الإيمان أنه المسيح ، وتبشير أهل مدينتها بذلك" (يو ٤ : ٢٩) .

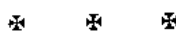
وفى وداعة أيضاً تصرف مع المرأة الخائنة المضبوطة فى ذات الفعل .. لم يكتفها بل أنقدها من الدين أرادوا رجمها. فلما أنصرفوا قال لها أين هم أولئك المشتكون عليك؟ أما ذلك أحد؟ .. ولا أنا أدبك . ادهنى ولا تحطئى أيضاً" (يو ٨: ١٠، ١١) .

★وبنفس الوداعة عاتب بعد القيامة تلميذه بطرس .

ذلك الذى أنكره ثلاث مرات ، وحلف ولعن وقال لا أعرف الرجل (مت ٢٦: ٧٤) .. فقال له الرب ثلاث مرات: أتحنى أكثر من هؤلاء ؟ .. ومعها ثلاث مرات ثبته فى عمل الرعاية ، بقوله له : "اراع عمى .. إراع حرافى" (يو ٢١: ١٥ - ١٧) .

وبنفس الوداعة . قابل نيقوديموس ليلاً .

ولم يوجهه على "خوفه من اليهود . س أنه ليلاً حتى لا يكشف أمره لهم .. وبهذه الوداعة التى نازل بها إلى صعبه ... اقتاده فيما بعد إلى أن يجاهر بالإشتراك فى تكفير المسيح بعد صلبه ...



الإنسان الوديع سهل التعامل مع الناس .

يستطيع كل شخص أن يأخذ معه ويعطى .

إنه سهل فى نقاشه وحواره . لا يحتد ولا يشتد . ولا يستاء من عبارة معينة يقولها محاوره . فيشعر المتناقش معه براحة مهما كان معارضاً له . يعرف أنه سوف لا يغضب عليه ، وسوف لا يحاسبه على ما يقول . ولعل أفضل الأمثلة على ذلك :

حوار الرب - فى وداعته - مع إبراهيم . ومع موسى :

★من فرط وداعته استطاع أبونا إبراهيم أن يناقشه فى موضوع حرق سادوم، ويقول له "أديان الأرض كلها لا يصنع عدلاً؟! أتهلك النار مع الأثيم؟! عسى أن يكون فى المدينة حمسون باراً.. حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر : أن تमित النار مع الأثيم، فيكون البار كالأثيم!" (تك ١٨: ٢٣ - ٢٥) . ويصبر الرب على هذه العبارات، ولا يعاتبه . بل يقول له فى وداعته "إن وجدت فى سادوم خمسين باراً، فإبنى أصفح عن المكال كله من أجلهم؟ . ويستمر معه فى الحوار حتى يصل العدد إلى عشرة .

★وبنفس الوداعة ، لما عند الشعب العجل الذهبى وأراد الله أن يعيهم، سمح لموسى أن يقول له : أرحح يارب عن حمو عصبك، واندم على الشر بشعبك .. لماذا يقولون أرحهم حث (من أرض مصر) ليعنيهم فى الحبال ويهلكهم؟! (حر ٣٢: ١١، ١٢) .

سمح الله لموسى أن يتكلم هكذا . وفى وداعة استجاب لطلسته ولم يفهم !
 من منا يحتفل من أحد خدمه أن يقول له : ارجع عن حمو غضبك . واددم على الشر ؟! ولكنه الله الوديع ...

الإنسان الوديع حليم ، واسع الصدر ، طويل البال .

كما وُصف بذلك موسى السى (عد ١٢: ٣) . حتى أنه حينما تقولت عليه أخته مريم ، ووبحها الله وعاتها ، تشفع فيها موسى وهو فى موقف المساء إليه منها "وصرخ إلى الرب قائلاً "اللهم اشعها" (عد ١٢: ١٣) ومن الأمثلة الحميلة أيضاً أن ما قيل عن سليمان الحكيم أن الرب منحه راحة قلب كالرمل الذى على شاطئ البحر (امل ٤: ٢٩) .

❖ ❖ ❖

والوديع إنسان بشوش ، لا يعبس فى وجه أحد .

له استسامة حلوة محبة إلى الدس . وملامح مسحة مريحة لكل من يتأملها . لا تسمح له طبيعته الهادئة أن يرحر أو يوج أو يحند ويشد . أو أن يعير صوته فى رجر إنسان . ومهما عومل ، لا يتذمر ولا يتضجر ولا يشكو .

بل عالب ما يلتبس العدر لغيره ، ويرر فى دمه مسلكه ، ولا يظن فيه سوءاً ، وكأن شيئاً لم يحدث . فلا يتحدث عن إساءة الناس إليه . ولا يحزن بسبب ذلك فى قلبه . فإن تأثر لذلك أو عصب ، سرعان ما يزول ذلك ، ولا يتحول حزنه أو غصه إلى حقد... بل سرعان ما يصفو . .

الوديع يتميز بأنه بطئ الغضب

كما قل معنما يعقوب لرسول "لنكر كل إنسان مسرعاً إلى الاستماع، منطناً فى التكلم، منطناً فى العصب . لأن عصب الإنسان لا يصع بر الله (يع ١: ١٩) . وما أكثر ما قيل عن إلهنا الوديع إله بطئ العصب" (يوس ٤: ١) ، وإبه تطويل الروح ، وكثير الرحمة" (مر ١٠: ٣) .

كذلك فإن الوديع لا يغضب لأى سبب .

إذا عصب الوديع ، فعرف أنه لابد من أمر خطير دعه إلى ذلك . وعالباً ما يكون غصه لأجل رب ، ليس لأجل نفسه ، ونسب كرامته أو حقوقه كما يفعل غير الودعاء . وبـ عصب ، لا يتور ولا يفتأ أعصيه . مما غصه عن عدم موافقه وعدم رصاه . فتويع غصه هدئة ، لا يفعى سرعه . وإذا انفع لا يتنعل .

والوديع إنسان مسالم ، لا ينتقم لنفسه .

لا يقاوم الشر ، كما أمر الرب (مت ٥ : ٣٩) . أى لا يقابل الشر بمثله . وإنما هو كثير الإحتمال . لا يدافع عن نفسه ، بل غالباً ما يدافع عنه غيره موبخين من يسئ إليه بقولهم ألم تجد سوى هذا الإنسان الطيب لتسئ إليه؟ .

الإنسان الوديع لا يؤذى أحداً ، ويحتمل الأذى من المخطئين .

وله سلام فى داخله ، فلا ينزعج ولا يضطرب .

كل المشاكل الخارجية لا تعكر صفوه الداخلى ، قال ماراسحق : "سهل عليك أن تحرك جبلاً من موضعه . وليس سهلاً عليك أن تثير إنساناً وديعاً" .

وهو لا يصطعب الهدوء . إنما كما خارجه ، هكذا داخله أيضاً . إنه كصخرة أو جندل فى بهر . مهما صدمت الأمواج تلك الصخرة ، تبقى كما هى لا تنتزع .

كثيراً ما نرى الودعاء يصبرون ولا يدافعون عن حقوقهم .

ومن أمثلة ذلك داود النبى ، الذى قيل عنه فى المزمور "اذكر يارب داود وكل دعوته"

(مر ١٣٢ : ١) .. لقد مسحه صموئيل النبى ملكاً (اصم ١٦ : ١٣) . ثم ذهب إلى الرامة ، ولم

يسلمه من الملك شيئاً! وبقي داود ملكاً بلا مملكة ، وعاد يرعى الغنيمات القليلات فى البرية .

ثم احتير ليخدم الملك شاول الذى كان عليه روح نجس : يعزف له على العود لكى يهدأ ..

ثم حسده شاول واصطهده اصطهاداً شديداً . وكان يطارده من برية إلى أخرى لكى يقتله .

كل ذلك وداود الوديع صابر ويحتمل . ولم يطالب خلال ذلك بحقوقه كملك ممسوح .

ولم يتدمر . ولم يقل يوماً لصموئيل النبى : أين تلك المسحة التى مسحتنى بها؟ وأين

الملك الذى أعطيتى إياه .. ونفى على هذه الحال حوالى ١٥ سنة ، حتى مات شاول .

الوديع بعيد عن المجادلة والمحارنة .

كما قال الكتاب "افعلوا كل شئ بلا دمدمة ولا مجادلة" (فى ٢ : ١٤) . ويقصد بالمجادلة

هنا : (المقاوغة فى الكلام) أو المحارنة .. ذلك لأن الوديع لا يجاهد لكى يقيم كلمته ،

ولكى ينتصر فى المناقشات . إنما هو يندى رأيه ويثبته . وليقبله من يشاء متى يشاء ،

دون أن يدخل فى صراع جدلى أو فى حرب كلامية . فهذا صد هدونه .

الوديع لا يوجد فى تفكيره خبث ولا دهاء ولا تعقيد

لا يقول شيئاً ، وفى نيته شئ آخر . بل الذى فى قلبه ، على لسانه . وما يقوله لسانه ،

إنما يعبر عن حقيقة ما فى قلبه . ليس عنده التواء . ولا يدبر حططاً فى الخفاء . هو إنسان واضح ، يتميز بالصراحة . يمكن لمن يتعامل معه أن يطمئن إليه . إنه بسيط ، لا حويط ، ولا غويط ...

إنه يمر على الحياة ، كما يمر التسييم الهادئ على سطح الماء . لا يحدث فى الأرض عاصفة ولا زوبعة ، ولا يحدث فى البحر أمواجاً ولا دوامات . ولا يحب أن يحيا فى حو فيه زوابع ودوامات . إن كل ذلك لا يتفق مع طبعه ، ولا مع هدوئه ، ولا مع لطفه ... ولا مع أسلوبه فى الحياة . لذلك فإن كل من يعاشره ، يلتد بعشرته . فهو طيب هادئ ، لا يصطدم بأحد ، ولا يزاحم غيره فى طريق الحياة . وإن صادف مشاكل ، فإنه يمررها ، ولا يدعها تمرره ...



هناك نوعان من الودعاء . أحدهما ولد هكذا . والثانى اكتسب الوداعة بجهاد وتدريب ، ويعمل النعمة فيه .

من النوع الأول ، القديس يولس البسيط . ومن النوع الثانى : القديس موسى الأسود ، الذى كان فى بدء حياته قاسياً وعيفاً ، مل قاتلاً أيضاً . وعندما أتى إلى الدير للتوبة ، خافه الرهبان أولاً . ولكنه بدأ يدرب نفسه ، حتى تحول إلى إنسان وديع طيب ، محب للأحوة ، حذوماً ومضيفاً . وصار مرشداً لكثيرين ...



على أنه فى حديثنا عن الوداعة ، لا يفوتنا أن ننسى ما يعطلها . أحياناً تقف صدها الرئاسة والسلطة . فم أن يصير البعض رئيساً ، ويمارس الأمر والنهى ، والتحقيق والمعاقبة ، ومراقبة الآخرين وتصريف أمورهم .. حتى يفقد وداعته ، ويرى فى الحرم والعزم والحسم ، ما يبرر له العنف أحياناً ، ويفقده وداعته وسطته . ولكن مغبوط هو الذى يحتفظ بالوداعة فيما يمارس عمل السلطة .

كذلك من يكون عمله هو حفظ النظام . وقد يجد نفسه فى بعض الأوقات أمام جماعة من المشاغبيين ، أو من الذين تمنعهم كبرياؤهم من الخضوع لأى نظام . كيف يسلك مع هؤلاء ؟ .. طبعاً هناك من يحفظ النظام فى رقة ولطف . وهناك من يستخدم العنف فى حفظه ...

هل تتنافى الوداعة مع الشجاعة والشهامة؟!

الوداعة هي الطيبة واللفظ والهدوء ، كما سبق وقلنا ...

ولكن المشكلة هي أن البعض قد يفهم الوداعة فهماً خاطئاً . وكأن الوديع يبقى بلا شخصية ولا فاعلية، وكأنه جثة هامدة لا تتحرك !! بل قد يصبح مثل هذا الوديع هزأة يلهو بها الناس !!

ويتحول هذا (الوديع) إلى إنسان خامل ، لا يتدخل في شيء!

كلا ، فهذا فهم خاطئ للوداعة ، لا يتفق مع تعليم الكتاب ، ولا مع سير الأباء والأنبياء.. حقاً إن الإنسان الوديع هو شخص طيب وهادئ . ولكن هذه هي أنصاف الحقائق .

النصف الآخر من الحقيقة أن الوداعة لا تتعارض مع الشهامة والشجاعة والنخوة ، وإنما لكل شيء تحت السموات وقت (جا: ٣ : ١) .

نعم ، هكذا قال الكتاب . وقال أيضاً "للغرس وقت. ولقنع المغروس وقت .. للسكوت وقت ، وللتكلم وقت..". المهم أن يعرف الوديع كيف يتصرف ، ومتى ؟ ..

ولقد مثل القديس الأنبا أبطونيوس عن أهم الفضائل : هل هي الصلاة، الصوم، الصمت.. إلخ فأجاب عن أهم فضيلة هي الإقراز ، أي الحكمة في التصرف، أو تمييز ما ينبغي أن يفعل .

فالطيبة هي الطبع السائد عند الوديع . ولكن عندما يدعو الموقف إلى الشهامة أو الشجاعة أو الشهادة للحق ، فلا يجوز له أن يمتنع عن ذلك بحجة التمسك بالوداعة ... لأنه لو فعل ذلك، وامتنع عن التحرك نحو الموقف الشجاع، لا تكون وداعته حقيقية ، إنما تصوير رخاوة في الطبع ، وعدم فهم للوداعة ، وعدم فهم للروحانية بصفة عامة . فالروحانية ليست تمسكاً بفضيلة واحدة تُلغى معها باقي الفضائل . إنما الروحانية هي كل الفضائل معاً، متجانسة ومتعاونة في جو من التكامل ...

وأماننا مثلاً الأعلى السيد المسيح له المجد :

كان وديعاً ومتواضع القلب (مت ١١: ٢٩) "قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفى" (مت ١٢: ٢٠) .. ومع ذلك :

فإنه لما رأى اليهود قد دنسوا الهيكل ، وهم يبيعون فيه ويشتررون ، "أخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشتررون فى الهيكل، وقلب موائد الصيارفة وكراسى باعة الحمام. وقال لهم: مكتوب بيتى بيت الصلاة يدعى ، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص" (مت ٢١: ١٢، ١٣) (يو ٢: ١٤ - ١٦) .

أكرام ممكناً للسيد المسيح - باسم الوداعة - أن يتركهم يجعلون بيت الأب بيت تجارة؟! أم أنه مزج الوداعة بالغيرة المقدسة، كما فعل "فنذكر تلاميذه أنه مكتوب : غيرة بيتك أكلتني" (يو ٢: ١٦، ١٧) .

وكما قام المسيح الوديع بتطهير الهيكل ، هكذا وبخ للكتبة والفريسيين .

حقاً ، لكل أمر تحت السموات وقت . للهدوء وقت ، وللغيرة وقت ، للسكوت وقت ، وللتعليم وقت . وقد كان الكتبة والفريسيون يصلون الناس بتعليمهم الخاطئ . فكان على المعلم الأعظم أن يكشفهم للناس ، ولا يبقئهم جالسين على كرسى موسى فى المجتمع المسيحى الجديد . فقال لهم "ويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المراؤون . لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس . فلا تدخلون أنتم ، ولا تدعون الداخلين يدخلون" (مت ٢٣: ١٣) .

هل كان ممكناً باسم الوداعة أن يتركهم يغلقون أبواب الملكوت!؟

الوداعة فضيلة عظيمة ، ولكننا نراها هنا ترتبط بالغيرة المقدسة ، وترتبط بالشهادة للحق ، ومثالنا هو المسيح نفسه .

والشهادة للحق أمر هام يريده الله . ولعل أهميته تظهر من قول الله على لسان أرميا النبى فى العهد القديم "طوفوا فى شوارع أورشليم ، وأنظروا وأعروها وفتشوا فى ساحاتها: هل تجدون إنساناً أو يوجد عامل بالعدل طالب الحق، فاصفع عنها" (أر ٥: ١) . وقال الرب لتلاميذه " .. تكونون لى شهوداً" (أع ١: ٨) .

فهل الوداعة تمنع الشهادة للحق؟! حاشا . أماننا بولس الرسول كمثال :

نرى ذلك فى موقفه من القديس بطرس لما سلك فى لأكل مع الأمم مسلماً رآه بولس الرسول مسلماً ريانياً .. فقال القديس بولس فى ذلك قارمته مواجهة لأنه كان ملوماً .. وقلت لبطرس قدام الجميع : إن كنت وأنت يهودى تعيش أمة لا يهودياً ، فلماذا تلزم الأمم

أر يتهودرا؟!" (غل ٢: ١١، ١٤) .

فعل هذا بولس الوديع ، الذى فى توبيخه لأهل كورنثوس، قال لهم "اطلب إليكم -
بوداعة المسيح وحلمه أنا نفسى بولس ، الذى هو فى الحضرة ذليل بينكم، وأما فى
العية فمحاسر عليكم" (٢كو ١٠: ١) .. هذا الوديع الذى يقف أمام أبنائه الروحيين كدليل
فى حصرنهم ، معتبراً توبيخه لهم تجاسراً عليهم !! .. هذا نفسه يرى وقت الضرورة أن
يويح بطرس الرسول الذى هو أقدم منه فى الرسولية وأكبر منه سناً .
ولكه هـ يمرح الوداعة بالشهادة للحق ...

فقصيلة الوداعة لا يحور لها أن تعطل الفضائل الأخرى .
أمامنا مثل آخر هو ابرام (ابراهيم) أبو الآباء ، فى مزج الوداعة بالشهامة والنخوة.
لاشك أن أبا الآباء ابراهيم كان وديعاً . هذا الذى سجد لنى حث حينما أخذ منهم
أرضاً ليدفن فيها سارة، مع أنهم كانوا يحلونه قائلين "أنت يا سيدى، رئيس من الله بيننا.
فى افضل قورا ادفع ميتك" (تك ٢٣: ٦، ٧) . ومع ذلك سجد لهم ...

ابراهيم الوديع الذى لما أخبروه سنى لوط صم سبى سادوم فى حرب أربعة ملوك
صد حمسة ، يقول الكتاب "فلما سمع ابرنم أن أحاه (لوطاً) قد سبى ، جسرَ غلماناه
المتمرير، ولدان بيته ثلاثمائة وثمانية عشر، وتبعهم إلى دان .. وكسرهم وتبعهم إلى
حوبة .. واسترجع كل الأملاك، واسترجع لوطاً أخاه أيضاً وأملاكه والنساء أيضاً والشعب"
(تك ١٤: ١٤ - ١٦) . أكانت شهامة ابراهيم ونحوته ، ضد وداعته وطيبته ؟! حاشا .

أمامنا مثل آخر فى امتزاج الوداعة بالشجاعة والقوة ، وهو الصبى داود ، فى
محاربته لجليات الجبار .

لاشك أن داود كان وديعاً ، يقول عنه المزمور "اذكر يارب داود وكل دعتة"
(مز ١٣٢: ١) .. داود راعى العنم الهادئ صاحب المزمار، الذى يحس الصرب على
العود (اصم ١٦: ١٦، ٢٢) . داود الحسن المنظر، الأشقر مع حلاوة العينين (اصم ١٦:
١٢) . داود هذا لما ذهب إلى ميدان الحرب يفتقد سلامة أخوته، وسمع جليات الجبار
يعير الجيش كله ويتحداه . والكل ساكت وخائف .. تملكته الغيرة المقدسة . وكل شجاعة
وقوة وإيمان، قال "لا يسقط قلب أحد بسببه" (اصم ١٧: ٣٢) . وتطوع أن يذهب ليحاربه.
وتقدم نحوه، وقال له "اليوم يحبسك الرب فى يدي.." (اصم ١٧: ٤٦) .

ها الوداعة منترجة بالقوة والشجاعة والإيمان ...

وعلى الرغم من قوة داود وشجاعته ، لم تفارقه وداعته ، بل قال لشاول الملك فيما بعد لما طارده "وراء من خرج ملك إسرائيل؟ وراء من أنت مطارد؟ وراء كلب ميت! وراء برغوث واحد!! (اصم ٢٤: ١٤) .

نضرب مثلاً آخر للجسمان الوديع ، الذى يغضب غضبة مقدسة للرب ، وينتهر ويوبخ.. هو موسى النبي .

لا يستطيع أحد أن ينكر وداعة موسى النبي، هذا الذى قال عنه الكتاب "وكان الرجل موسى حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" (عد ١٢: ٣) .

فماذا فعل موسى الوديع لما نزل من الجبل ووجد الشعب فى رقص وغناء حول العجل الذهبى الذى صنعوه وعبدوه؟ يقول الكتاب "حمى غضب موسى . وطرح اللوحين (لوحى الشريعة) من يديه وكسرها فى أسفل الجبل . ثم أخذ العجل الذى صنعوه وأحرقه بالنار، وطحنه حتى صار ناعماً ، وذراه على وجه الماء.. (خر ٣٢: ١٩ ، ٢٠) . ووبخ موسى هارون أخاه رئيس الكهنة، حتى ارتكك أمامه هارون وخاف. وقال له "لا يحم غضب سيدى. أنت تعرف الشعب أنه شر.." وقال فى حوفه وارتكاه عن الذهب الذى جمعه من الناس "طرحته فى النار، فخرج هذا العجل!!" (خر ٣٢: ٢٢ ، ٢٤) . وعاقب موسى الشعب . ومات فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف ...

إن الوداعة لا تمنع الغضب المقدس ولا المعاقبة ...
الوداعة أيضاً لا تمنع قوة الشخصية ، ولا قوة التأثير .

كان السيد المسيح وديعاً . وفى نفس الوقت كان قوى الشخصية، وكان قوياً فى تأثيره على غيره . ولكننى أريد هنا أن أضرب مثلاً فى مستوى البشر، وهو القديس بولس الرسول . بولس الذى شرحنا من قبل وداعته ..

يقول سفر أعمال الرسل عن القديس بولس ، وهو أسير : "وبينما كان يتكلم عن البر والتعفف والدينونة العتيدة أن تكون ، ارتعب فيلكس (الوآتى) . وأجاب "أما الآن فإذهب . ومتى حصلت على وقت استدعيك" (أع ٢٤: ٢٤ ، ٢٥) .

ولما وقف بولس الرسول - وهو أسير أيضاً - أمام أغريباس الملك، قال له أيضاً بعد أن ترافع أمامه "أتؤمن أيها الملك أغريباس بالأنبياء؟ أنا أعلم أنك تؤمن" . فقال أغريباس لبولس "بقليل تقتنعنى أن أصير مسيحياً" (أع ٢٦: ٢٧ ، ٢٨) .

وحينئذ فى قوة وعزه أجابه القديس بولس : كنت أصلى إلى الله، أنه بقليل وبكثير

ليس أنت فقط - بل أيضاً جميع الذين يسمعونى اليوم، يصيرون هكذا كما أنا ما خلا هذه القيود" (أع ٢٦: ٢٩) .. أترى تتعارض الوداعة مع هذه القوة؟! كلا، بلا شك .

ووقت الضرورة ، لا تتنافى الوداعة مع الدفاع عن الحق ...

ويتضح هذا الأمر من قصة بولس الرسول مع الأمير كلوديوس ليسياس، لما أمر أن يفحصوه بضربات ليعلم لأى سبب كان اليهود يصرخون عليه. يقول الكتاب "فلما مدوه للسياط، قال بولس لقائد المئة الواقف "أيجوز لكم أن تجلدوا رجلاً رومانياً غير مقضى عليه ١٢؟ وإذ سمع القائد هذا أخبر الأمير ، الذى جاء واستخبر من بولس عن الأمر. وحينئذ تنحى عنه الذين كانوا مزعمين أن يجلدوه . واحتسى الأمير لما علم أنه روماني (أع ٢٢: ٢٤ - ٢٩) .

ما كان القديس بولس الرسول يهرب من الجلد . فهو الذى قال : "من اليهود خمس مرات قنلت أربعين جلدة إلا واحدة" (٢ كو ١١: ٢٤) . لكنه هنا دافع عن حق معين، وأظهر للأمير خطأ كان مزعماً أن يقع فيه . وما كان هذا يتنافى مع وداعة القديس بولس. وبنفس الوضع لما أراد فسستوس الوالى أن يسلمه لليهود ليحاكم أمامهم، وبهذا يقدم منة (أى جميلاً) لهم . فقال له بولس فى حزم - مدافعاً عن حقه - "أنا واقف لدى كرسى ولاية قيصر، حيث ينبغى أن أحاكم. إلى قيصر أنا رافع دعواى" . فأجابه الوالى "إلى قيصر رفعت دعواك. إلى قيصر تذهب" (أع ٢٥: ٩ - ١٢) .

لم يكن القديس بولس خائفاً من اليهود . ولكنه - فى حكمة - طلب هذا، ليذهب إلى رومه - حيث يوجد قيصر - ويبشر هناك . لأن الرب كان قد تراءى له قبل ذلك، وقال له "ثق يا بولس، لأنك كما شهدت بما لى فى اورشليم، هكذا ينبغى أن تشهد فى رومية أيضاً" (أع ٢٣: ١١) . وهكذا دافع عن حقه فى وداعة وحكمة، ودون أن يخطئ فى شئ. بل تكلم كلاماً قانونياً .

الوداعة لا تمنع من أن تنبه خاطئاً لكى تنقذه من خطأ أو من خطر .

كما قال يهودا الرسول غير الأسخريوطى "خلصوا البعض بالخوف، مختطفين من النار" (يه ٢٣) .

هل أب رأيت صديقاً أو قريباً، على وشك أن يتزوج زواجا غير قانونى، من قرابة ممنوعة ، أو بعد طلاق غير كنسى، أو بتغيير المذهب والملة، أو أنه مزعم أن يتزوج زواجا مدنياً أو عرفياً.. أو ما شاكل ذلك .. هل تمتنع باسم الوداعة عن تنبيهه إلى أن ما

ينوى عمله هو وضع خاطئ؟! .. كلا، بل أن من واجبك أن تصححه .. ولكن بأسلوب هادئ، تنبيهه ، ولكن فى غير كبرياء وفى غير تجريح . أما إن سكّت ، فإن سكوتك سيكون هو الوضع الخاطئ . ليست الوداعة أن تعيش كجثة هامدة فى المجتمع . بل تتحرك، وتكون لك شخصيتك، إنما فى أسلوب وديع .. ولو بكلمة واحدة، كقول المعمدان "لا يحل لك" (مت ١٤ : ٤) .

أمامنا أيضاً مثال القديس بولس الرسول "اسهروا متذكرين أنى ثلاث سنين ليلاً ونهاراً، لم أفتر عن أن أنذر بدموع كل واحد" (أع ٢٠ : ٣١) .. وداعته لم تمنعه من أن ينذر كل واحد. لكن أسلوبه الوديع ، هو أنه كان ينذر بدموع ...
حتى إن اضطر أن يقول كلمة شديدة ...

لقد اعتاد الناس على عدم سماع كلمة شديدة من إنسان وديع . فإن سمعوه يوماً يقول كلمة شديدة، سيدركون داخل أنفسهم أنه لابد أن سبباً شديداً قد ألجأه إلى هذا. ويكون للكلمة وقعها وتأثيرها فى أنفسهم ...

هل تظنون أن الوديع ، قد أعى من قول الرب لتلاميذه "وتكونون لى شهوداً" (أع ١ : ٨) . كلا، بلاشك فحينما يلزم الأمر أن يشهد للحق، لابد أن يفعل ذلك ...

هل إذا أتيت فرصة له، لكي ينفذ شخصاً معتدى عليه، ألا يفعل ذلك باسم الوداعة؟! هل من المعقول أن يقول "وما شأنى بذلك؟! أو يقول "وأنا مالى ، خلينى فى حالى" !! أم فى شهامة ينفذه ، وبأسلوب وديع. كما أنفذ السيد المسيح من الرجم المرأة المصبوطة فى ذات الفعل. وقال للراغبين فى رجمها "من كان منكم بلا خطية، فليرمها بأول حجر" (يو ٨ : ٧) . وفعل ذلك بوداعة دون أن يعلن خطاياهم. بل "كان يكتب على الأرض" .

لعل البعض يسأل ههنا: هل يمكن للوديع أن يدين أحداً؟ وهل هناك أمثلة فى الكتاب لذلك ؟
أمامنا السيد المسيح ("الوديع المتواضع القلب") (مت ١١ : ٢٩) .

هذا الذى كان يقول "لم يرسل الأب ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص العالم" (يو ٣ : ١٧) . وقد قال لليهود "أنتم حسب الجسد تدينون. أما أنا فلست أدين أحداً" (يو ٨ : ١٥) . ومع ذلك أكمل بعدها "وإن كنت أنا أدين ، فدينونتى حق" . يسوع المسيح هذا، الذى قال للمرأة المصبوطة فى ذات الفعل "ولا أنا أدينك" (يو ٨ : ١١) .. هو فى مناسبات عديدة، أدان كثيرين .. مثلما أدان الكتبة والفريسيين (مت ٢٣) . وأدان كهنة اليهود (مت ٢١ : ٤٣) قائلاً لهم "إن ملكوت الله يرفع منكم، ويعطى لأمة تصنع آثاره" . وأدان

تلميذه بطرس لما أخطأ ، وقال له من جهة الصليب "حاشاك يارب" (مت ٢٣ : ١٦) .
كذلك فإن القديس بولس الرسول قال لتلميذه تيموثاوس "الذين يخطئون ويختم أمام
الجميع، لكي يكون عند الباقيين خوف" (١تى ٥ : ٢٠) . فإن قلت هذا هو المسيح يدين،
وذلك رسول وذاك أسقف، أقول :

هناك مواقف يجد فيها الوديع نفسه مضطراً أن يتكلم، ولا يستطيع أن يصمت. مثلما
فعل أليهو في قصة أيوب الصديق وأصحابه :

كان هو الرابع من أصحاب أيوب. وقد ظل صامتاً طوال ٢٨ إصحاحاً من النقاش بين
أيوب الصديق وأصحابه الثلاثة إلى أن صمت هؤلاء إذ وجدوا أيوب باراً في عيني نفسه
(أى ٣٢ : ١) . وحينئذ يقول الكتاب "فحمى غضب أليهو سر برخئيل البوزى من عشيرة
رام. على أيوب حمى غضبه، لأنه حسب نفسه أبر من الله. وعلى أصحابه الثلاثة حمى
غضبه، لأنهم لم يجدوا كلاماً واستنذبوا أيوب" (أى ٣٢ : ٦ ، ٣) .. كان أليهو إنساناً وديعاً،
ظل صامتاً مدة طويلة في نقاش بين أشخاص "أكثر منه أياماً" . ولكنه أخيراً لم يستطع أن
يصمت . ورأى أنه لابد من كلمة حق ينبغي أن تقال . فقال لهم :

"أنا صغير في الأيام وأنتم شيوخ. لأجل ذلك خفت وخشيت أن أبدى لكم رأيي. قلت
الأيام تتكلم، وكثرة السنين تظهر حكمة" . ولما لم يجد فيهم حكمة، تكلم ووبخ أيوب.
وكانت كلمة الله على فمه. وهو الوحيد الذى لم يجادله أيوب (أى ٣٢ - ٣٧) .
هناك أشخاص من حقهم - بل من واجبهم - أن يدينوا .

ولا تتعارض إدانتهم مع الوداعة . مثل الوالدين ، والآب الروحى، والمدرس بالنسبة
إلى تلاميذ، والرئيس بالنسبة إلى مرؤوسيه ... إن على الكاهن أدانه الله لأنه لم يحسن
تربية أولاده ويديهم (١صم ٣) .

هوذا الكتاب يقول "لا تخالطوا الزناة" (١كو ٦ : ٩) . فهل تقول "أف لا أدين هؤلاء" !
إن عدم مخالطتهم ، وعدم مخالطة مجموعات أخرى من الخطاة (١كو ٦ : ١١) ، تحمل
ضمناً أدانتهم . كذلك بالنسبة إلى المنحرفين في التعليم الدينى، يقول الرسول "إن كان أحد
يأتاكم ولا يجرى بهذا التعليم، فلا تقبلوه في البيت، ولا تقولوا له سلام. لأن من يسلم عليه،
يشترك في أعماله الشريرة" (٢يو : ١٠ ، ١١) . فهل باسم الوداعة تقبل هؤلاء ؟!

قال الرسول "خطايا بعض الناس واصحة تتقدم إلى القضاء" (١تى ٥ : ٢٤) . أنت لا
تدين ، بل أعمالهم تدينهم . وأنت بكل وداعة تتعد عنهم .



مِنْ ثَمَرِ الرُّوحِ

٩

Chastity التَّعَفُّفُ

الذى يحيا حسب الروح، لابد أن يكون التعفف من ثمر حياته الروحية. فما هو هذا التعفف؟ وكيف يمكن الوصول إليه ؟

التعفف يشمل عفة الجسد، وعفة الحواس (النظر والسمع واللمس)، وعفة اللسان، وعفة الفكر، وعفة القلب، وعفة القلم، وعفة اليد ...
ونود هنا أن نتكلم عن كل بند من هذه البنود ...

عفة اللسان

عفة للسان تبعد عن كل كلمة بطالة .

هذه التى قال عنها السيد الرب كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس، يعطون عنها حساباً فى يوم الدين" (مت ١٢ : ٣٦) . بل اعتبر إنها نجاسة، فقال "ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان. بل ما يخرج من الفم، هذا ينجس الإنسان" (مت ١٥ : ١١) . وطبعاً الإنسان العفيف لا يتنجس بأية كلمة ...

اللسان العفيف لا يلفظ كلمة شتيمة ، ولا كلمة تهكم .

الإنسان العفيف يحترم غيره ، فلا يسيء إليه بكلمة جارحة، ولا بكلام استهزاء أو احتقار أو ازدراء، فى أى حديث، أو فى أى عتاب. وأتذكر أنني فى يوم أربعين الأرثوذكس يكون حبيب جرجس ، قلت عنه :

لك أسلوب نزية طاهر ... ولسان أبيض الألفاظ عفاً

لم تقل بالذم مخلوقاً ولم ... تذكر السوء إذا ما حلّ وصف

لهذا فإن الذى يستخدم ألفاظاً جارحة، أو ألفاظاً قاسية، وكأنها كرجم الطوبى، ليس هو

بالإنسان العفيف اللسان .

فاللسان العفيف لا يشهر غيره ، ولا يكشف عورة إنسان في حديثه ، لأن عفته تمنعه من ذلك .

اللسان العفيف ، هو لسان مؤدب ومهذب ، يزن كل كلمة يلفظ بها ، ولا يحتاج إلى مجهود لكي يتكلم كلاماً عفيفاً ، لأنه تعود على ذلك . أو هو هكذا بطبعه .

واللسان العفيف لا يتكلم كلاماً نابياً ، ولا يستخدم ألفاظاً معيبة من الناحية الخلقية . فلا يتلفظ بكلمات جنسية بذينة ، ولا يذكر قصصاً أو فكاهات جنسية ، ولا يقبل سماعها إن قيلت من غيره . ولا يردد أغاني من نفس النوع ، بل يخجل من النطق بها ، ولا فيما بينه وبين نفسه في مسكنه الخاص . إنه لا يتدنى إلى هذا الوضع .

اللسان العفيف يمنعه أدبه من استخدام لغة لا تتفق وهذا الأدب الذي تعود . واللسان العفيف قد تعود أيضاً عفة التخاطب .

وقد تعود أيضاً على أدب الحوار .

فهو لا يقاطع غيره أثناء الحديث معه ، ولا يوقفه عن الكلام لكي يتكلم هو ، ولا يعلو صوته في الحوار . ولا يحاول أن يقلل من شأن غيره في الحوار ، لكي - ثبت صحة رأيه هو . ولا يبين غيره أثناء المناقشة . فكل هذه أمور لا يسمح بها أدبه .

واللسان العفيف - في حوار - يكون موضوعياً ، لا يتعرض إلى الجواب الشخصية في من يتحاور معه . وإنما يكون منطقياً فيما يقول . لا يمكن أن يصف محدثه بالجهل أو عدم الفهم . ولا يكشفه في هذه النواحي . بل يركز على الموضوع ، موضوع النقاش ... وعفة اللسان ترتبط بها أيضاً عفة القلم .

القلم الذي يراعى كل ما قلناه فيما يكتب ، فلا يشهر بأحد ، ولا يجرح أحداً ، ولا يعمد إلى الإهانة . ولا يشيع عن إنسان ما ليس فيه . بل يحرص على أعراض الناس ، ويرى أن سمعتهم أمانة لا يمكن لقلمه أن يتجاوزها . بل هو يكتب بموضوعية نزيهة . وهنا نرى عفة النقد ونزاهته .

النقد العادل ، البرئ ، الموضوعي ، الذي يهدف إلى الحق . ويزن الأمور بميزان سليم . ويذكر النقط البيضاء أولاً قبل غيرها من النقاط التي لا يوافق عليها . وهكذا يعطى كل ذي حق حقه .

وفى بقده لا يدخل فى نوايا الناس وفى دواحلهم التى لا يعرفها إلا الله وحده.

على أننى أقول دائماً إن خطيئة اللسان هى خطيئة ثانية .

فاللسان غير العفيف، تكون عدم عففة خطيئة ثانية ، تابعة لأخرى قد سبقتها وهى عدم العفة فى القلب ، التى كانت نتيجةها عدم عفة اللسان . وذلك طبقاً لقول السيد الرب "الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح . والإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر . لأنه "من فضلة القلب يتكلم اللسان" (لوقا : ٤٥) . هذا ينقلنا إلى الحديث عن عفة القلب وعفة الفكر .

عِفَّة الْقَلْبِ وَعِفَّة الْفِكْرِ

هذه العفة الداخلية ، يُبنى عليها كل تعفف من الخارج . وفى هذا قال الكتاب "فوق كل تحفظ احفظ قلبك، لأن منه محارح الحياة" (أم : ٤ : ٢٣) .

عِفَّة الْقَلْبِ هى عِفَّة المشاعر والعواطف والأحاسيس ، وعِفَّة المقاصد والنيات والرغبات ...

ومن عِفَّة القلب تصدر عِفَّة الفكر ، وعِفَّة اللسان ، كما تصدر أيضاً عِفَّة الحواس . فكلها حارِجة من مصدر واحد .

لذلك إن وجدت فكرك قد بدأ يسير فى مجرى غير عفيف، أسرع وقاومه . وأوقفه قبل أن يتطور إلى أجهزتك الأخرى. وهكذا يعتبر الفكر عن ذاته ، عن طريق اللسان أو الحواس أو العمل .

عِفَّة الْفِكْرِ وَالْقَلْبِ تتعلق أيضاً بعِفَّة الْعَقْلِ الْبَاطِنِ .

فالعقل الباطن يعمل عن طريق المحزون فيه من أفكار ، ومن رغبات وصور ومشاعر .. فإن كان المحزون فى العقل الباطن غير عفيف، حينئذ يظهر ذلك فى أحلام غير عفيفة ، وهى طيور وأفكار من نفس النوع . مثلما قيل فى سفر التكوين عن الشجر الذى يتجسس بذراً كجسه (تكوين : ١١ ، ١٢) .

فليحرص كل إنسان إذن على عِفَّة قلبه وفكره ، بما يدخل فيهما من روحيات، ومن محبة للحير وللعفة ، حتى يصبحان مصدراً لكل من عِفَّة اللسان، وعِفَّة الحواس، وعِفَّة الحمد .

عفة الجسد

عفة الجسد هي بعده عن كل شهوة جسدية رديئة ، أو كل شهوة تتعلق بمحبة هذا العالم المادى .

وقد تعرض القديس يوحنا الرسول لهذا الأمر ، فقال فى رسالته الأولى "لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم .. لأن كل ما فى العالم : شهوة الجسد ، وشهوة العين ، وتعظم المعيشة.." (١يو ٢: ١٥ ، ١٦) .

وشهوة الجسد تشمل للزنى بكل أنواعه . كما تشمل محبة للراحة والبطنة . وتشمل أنواعاً كثيرة مما يشتهيها الجسد ، ولكن أخطرها الزنى . والإنسان العفيف يبذل كل جهده للبعد عن شهوات الجسد ... فهو لا يشتهى ، ولا يثير الشهوة فى غيره ...

وإن حورب بإغراء ضد عفة الجسد ، يحارب ذلك بكل قوته .. يحارب عدم العفة بقلب طاهر ، وبإرادة قوية، ولا يسلم سلاحه أبداً. ما أعظم قول بولس الرسول للمبرانيين موبخاً "لم تقاوموا بعد حتى الدم، مقاومين ضد الخطية" (عب ١٢: ٤) .. مقاومة صادقة ، مهما كانت الظروف الخارجية ضاغطة ...

القلب العفيف هو العامل الأساسى فى عفة الجسد ..

ومثالنا هو يوسف الصديق ، الذى كانت الخطية تضغط عليه من الخارج ، وتلح عليه كل يوم، ومن سيدته التى كان لها سلطان عليه، وتستطيع أن تؤذيه إذا رفض. ولكنه احتفظ بعفة جسده، بسبب عفة قلبه، وبسبب أنه كان يضع الله أمامه فى كل ما يفعل. وبسبب مبادئه الروحية التى كانت تؤمن بالعفة . فقال : كيف أفعل هذا الشر العظيم، وأخطئ إلى الله؟! (تك ٣٩: ٩ ، ١٠) .

إذن العفة لا تتوقف على الوسط الخارجى ، إنما على حالة القلب الداخلية ومدى عفة القلب .

لقد نجح يوسف الصديق ، ولم يكن قد ارتبط بعد بزواج يحصنه من الخطية، ولم ينجح داود الملك الذى كانت له سبع زوجات وقتما حاربته إغراء الخطية . والسبب كان هو حالة القلب الداخلية: هل هو قلب عفيف يتسامى ويعلو فوق الإغراء، مثل قلب يوسف العفيف .. أم هو قلب ضعيف من الداخل . تأتية حروب الخطية فى وقت يكون فيه محباً

لها وغير متمسك بالعفة ، كما حدث مع داود .

عفة الجسد أيضاً ترتبط بالحشمة وعفة الملابس .

وعفة الملابس بالنسبة إلى المرأة تتعلق أحياناً بكشف جسدها بطريقة غير عفيفة: إما بملابس فيها لون من العري الجسدى يكشف أجزاء من جسدها، أو بملابس ضاغطة، أو بملابس شفافة. وكلها تؤدي إلى نفس النتيجة ، وتكون معثرة ...

وقد تبرر المرأة هذا بأنه إظهار لأكوثتها . وفي الواقع إنه إظهار لعدم عفتها .

مهما حاولت أن تدعى بأن هذه هي الموضع السائدة . لأنه لا يصح أن تسود الموضة على الروح . أو تكون وصايا مصممي الموضة أهم من وصايا الله .. والمرأة المحتشمة لا تقبل مطلقاً أى زى جديد يتنافى مع الحشمة ، أو يسبب عثرة لأحد .

وإن فعلت هذا فى أى مكان ، لا يجوز مطلقاً أن تدخل إلى الكنيسة بزي غير محتشم، وبخاصة فى وقت تناول من الأسرار المقدسة .

وقد تتنافى مع العفة أيضاً ألوان من الزينة والمساحيق .

ومعروف ما قاله القديس بطرس الرسول عن الزينة الجسدية . وقد فضّل عليها "زينة الروح الوديع الهادئ الذى هو قدام الله كثير الثمن" (١بط ٣: ٤) .

نحن لا ننكر على المرأة أن تتجمل . ولكن يُسمح لها بذلك فى حدود العفة، وفى حدود التجمل غير المعثر ...

وقد لا يتفق مع التعفف أيضاً أسلوب المشى والحركة ونوعية الصوت .

فالمفروض أن تشمل العفة كل أسلوب حياتها، وأن تبعد عن كل تصرف يثير مشاعر خاطئة بالنسبة إلى غيرها ...

لعل المرأة تقول إن الرجل الذى يثار هو إسان ضعيف ليس عفيفاً كما ينبغي.. وربما يكون هذا صحيحاً. ولكن عليها أن تراعى ضعف الضعفاء ، فلا تعثرهم . وقد قال القديس بولس الرسول "يجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل ضعف الضعفاء ، ولا نرضى أنفسنا" (رو ١٥: ١) .

نحن مطالبون ليس فقط بعفة أنفسنا . وإنما أيضاً بالعمل على عفة غيرنا ، فلا يفقدون عفتهم بسببنا .

وقد جاء الحديث عن العثرة . وقال السيد الرب فى ذلك "ويل لذلك الإنسان الذى به

تأتى العثرة" (مت ١٨: ٧) "خير له لو طُوقَ عنقه بحجر رعى وطُرح فى البحر ، من أن يعثر أحد هؤلاء الصغار" (لو ١٧: ١، ٢).

فعلى المرأة - كما على الرجل أيضاً - مراعاة عفة العنصر الآخر ، فلا يكون سبباً لمحاربته فى عفته .

المرأة بجمالها وأنوثتها . والرجل بإغرائه وعواطفه ووعوده ... وكذلك بالصدقة والألفة، التى تبدأ أولاً بريئة، أو تبدو بريئة، ثم تنتهى إلى عكس ما بدأت به ... وعفة الجسد ينبغى أن تحفظ حتى فى غرفة الإنسان الخاصة .

سواء فى طريق جلوس الإنسان أو طريقة نومه، أو فى حشمتة بصفة عامة. فالذى يحتفظ بحشمتة فى غرفته الخاصة، سوف يحتفظ بنفس الأسلوب العفيف حينما يغادر غرفته ويختلط بالناس . أما الذى يسلك بغير عفة فى مسكنه ، لاشك أن عدم العفة سوف تتبعه أينما ذهب .. التعود لازم ، ويبدأ مع الذات .

حتى فى العلاقات الزوجية ، ينبغى أن تحفظ العفة .

وفى هذا يقول القديس بولس الرسول "ليكن الزواج مكرماً عند كل احد، والمضجع غير دنس. أما العاهرون والزناة، فسيدينهم الله" (عب ١٣: ٤) . إن الحلال مقبول . ولكن لا يصل إلى التسبب ، الذى قد يتنافى أحياناً مع العفة . وهذا ما قصده الرسول بأن يكون المضجع غير دنس .

عفة الجسد نقودنا إلى الحديث عن عفة الحواس .

ونعنى بها بوجه خاص عفة النظر والسمع واللمس .

عفة النظر

عفة النظر تكون فى البعد عن كل نظرة شهوانية .

ولعل هذا ما قصده القديس يوحنا بعبارة "شهوة العين" (١يو ٢: ١٦) . وهذا أيضاً ما قصده أيوب الصديق حينما قال "عهداً قطعت لعينى . فكيف أطلع فى عذراء؟" (أى ٣١: ١) . بل هذا ما قاله الرب "إن كل من ينظر إلى امرأة لبستهيها، فقد زنى بها فى قلبه" (مت ٥: ٢٨) .

إن عدم عفة القلب تؤدى إلى عدم عفة النظر .

الإنسان العفيف تكون نظرتة إلى أية امرأة ، هى نظرة عفيفة لا خطيئة فيها . ولكن يبدأ عدم العفة ، حينما يتلوث القلب من الداخل . وهذا هو الذى حدث مع امرأة فوطيفار . يقول الكتاب إنها "رفعت عينيها إلى يوسف" (تك ٣٩: ٧) . إنها بلاشك كانت تراه كل يوم . ولكنها فى ذلك الوقت بدأت تنظر إليه بطريقة أخرى ، بقلب دخلته الشهوة .

حدث مثل ذلك وبمعنى آخر ، مع أمنا حواء بالنسبة إلى شجرة معرفة الخير والشر . كانت الشجرة فى وسط الجنة (تك ٣: ٣) . ولاشك أن حواء كانت تمر عليها كل يوم وترآها ، ولكن بقلب عفيف لا يشتهيها . إذن فمتى بدأت المشكلة ؟ بدأت حينما تغير قلب حواء من الداخل بإغراء الحية التى قالت لها "لن تموتى .. تصيران مثل الله .." "تفتح أعينكما" (تك ٣: ٤ ، ٥) ... حينئذ "رأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل ، وأنها بهجة للعيون ، وأن الشجرة شهية للنظر" (تك ٣: ٦) . من أين أتت هذه الشهوة نحو الشجرة ؟ أتت من تغير القلب من الداخل ..

الإنسان العفيف ينظر بغير شهوة ، بل فى استحياء ..

ليس فى الأمور الجنسية وحدها ، بل أيضاً من جهة نظرة الإحترام نحو من هو أكبر منه . فلا يجرؤ أن الابن ينظر إلى أبيه بغير حشمة ، بل فى توقير شديد . وقد لا يجرؤ أن يرفع عينيه إليه ، أو أن ينظر نظرة تحذير .. قيل عن القديس الأنبا بيجيمى إنه عاش ١٨ سنة مع شيوخ قديسين فى الدير ، لم يجرؤ خلال ذلك أن يرفع بصره ليملاً عينيه من واحد منهم .

هناك نظرات أخرى غير متعطفة (من نوع آخر) .

مثل النظرات المتجسدة الفاحصة ، التى تريد أن تسبر غور من أمامها وتفحص دواخله ، وتعرف أسرارها ، أو تؤثر عليه .

عِنة الأُذُن

الأذن العفيفة هى التى لا تتصنت على غيرها .

أما التى تتسمع لتعرف أسراراً ليس من حقها أن تعرفها ، فهى إذن ليست عفيفة .. إنها تسرق أخباراً ، وتدخل إلى خصوصيات الناس بغير حق . ولا يمكن أن يفعل هذا إنسان مهذب ...

كذلك فإن الأذن التى تلتذ بسماع أحاديث شهوانية .

أو بسماع فكاكات أو أغانٍ جنسية، هى أذن غير عفيفة .. بل تصرفها هذا نسميه (زنى الأذان) ...

أيضاً من الأذان غير العفيفة ، الأذن التى تلتذ وتستمتع بسماع مذمة الغير ، أو أخبار عن سقوط أو فشل من تعاديه . فهذا نوع من الشماتة ، لا يتفق مع العفة . وقد قال الكتاب فى ذلك "لا تفرح بسقوط عدوك، ولا يبتهج قلبك إذا عثر. لنلا يرى الرب ويسوء ذلك فى عينيه" (أم ٢٤: ١٧، ١٨) . إن هذا بلا شك لون من الشماتة . والأذن التى تلتذ لها الشماتة ، ليست أذنًا عفيفة .

عفة اليد

اليد العفيفة لا تمتد إلى ما لغيرها ، لا بسرقة أو نشل ، ولا بأى لون من اغتصاب حقوق الغير .

كذلك لا تعتبر يدًا عفيفة التى تفرح ببربح غير جائز .. قال عنه الكتاب "طامع بالربح القبيح" (١تى ٣: ٣) . ويدخل فى هذا الأمر : الربا الذى يفرضه الرباى على الفقراء المحتاجين . واحتكار بعض التجار سلعاً معينة فى السوق ، أو فرض أسعار عالية مجحفة بمن يشتري . فتمتلى أيدى كل هؤلاء من مال أخذوه من تعب الناس واحتياجهم . وكما قلت عن ذلك فى إحدى القصائد :

خطفوه من فم الجوعان بل ... من رضيع لم يوفوه فطاما

ومن عفة اليد أيضاً العفة فى الطلب .

حيث يستحق الإنسان العفيف أن يمد يده . وإذا أعطى قد يستحق أيضاً أن يأخذ. بينما الإنسان غير العفيف قد يطالب ما لا يستحقه ، وكأنه حوق قد سلبه منه من يعطى . وحينما يُعطى قد يستقل ما يأخذه ، فيرجعه أو يطلب بأكثر .

من أمثلة هؤلاء من يطالب الله بحقوق !!

وكالابن الضال الذى طلب من أبيه نصيبه فى الميراث (لو ١٥) .

الفهرست

صفحة

٥	مقدمة
	<u>من ثمار الروح :</u>
٧	١ - المحبة
١٣	٢ - الفرح
٢١	٣ - السلام
٢٩	وفي السلام الداخلى الإطمئنان وعدم الخوف
٣٥	٤ - طول الأناة
٣٥	أ - عند الله
٤١	ب - عند البشر
٤٧	٥ - اللطف
٥٥	٦ - الصلاح
٦٣	٧ - الإيمان
٧١	٨ - الوداعة
٨٠	هل تتلقى الوداعة مع الشجاعة والشهامة
٨٧	٩ - التعفف

الكتاب المقبل :

سوف يصدر فى خلال أسبوعين إن شاء الله كتاب :

قانون الإيمان

فصل الكتاب

بسم الأب والابن والروح القدس
الإله الواحد أمين

تقرأ في هذا الكتاب عن تسع
امثال هي ثمر الروح ...

ثمر لروحك الإنسانية هي
شركتها مع الروح القدس .

أو هي ثمر للروح القدس العامل
فيك ، مع استجابتك له ...

وهذه الثمار التسعة هي :

- | | | |
|---------|-------|------|
| محبة | فرح | سلام |
| طول ليل | لطف | |
| صلاح | إيمان | |
| وداعة | تواضع | |

كل ثمرة منها ، تقولك إلى
رحمتها ، وشركتك الفل معاً .

اسأل نفسك : ماذا يخلصك من
هذه الثمار ، لكي تترك نفسك على
قائده . وليكن الرب معك .

أبها شهوده الثالث